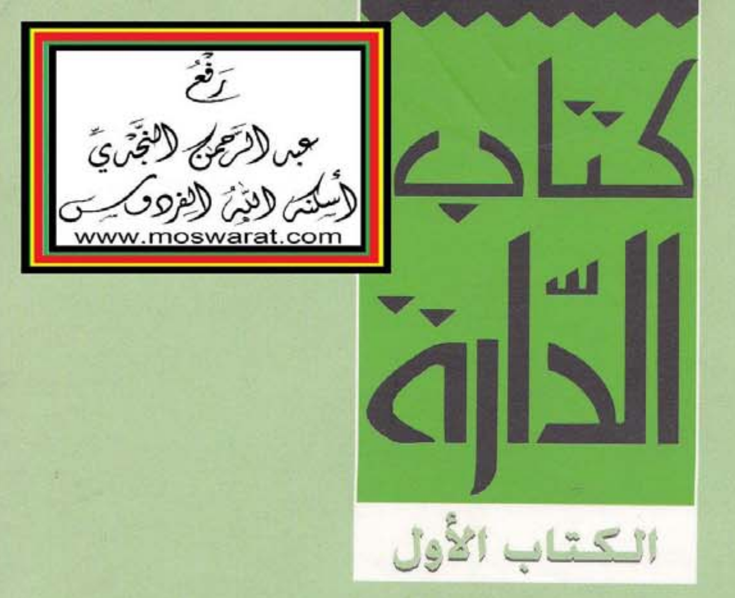


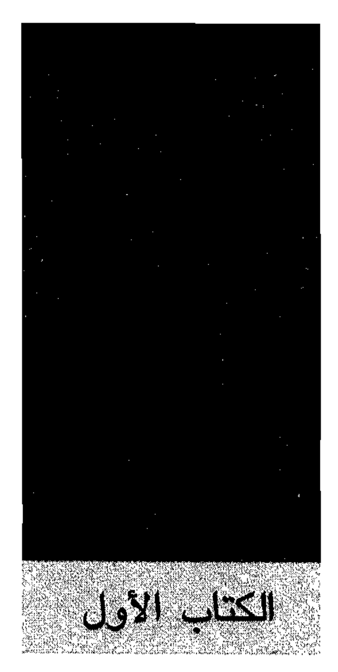
الكتاب الأول

التحليق إلى البيت العتيق

د. عبد الهادي التازي




رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

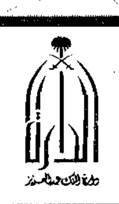


إصدارات الدارة - ١١٦

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
دارة الملك عبدالعزيز
التحليق إلى البيت العتيق. ـ الرياض.
١٤٤ ص؛ ١٤×٢١ سم
ردمك ٢ ـ ٩٠ ـ ٦٩٣ ـ ٩٩٦٠
١ ـ رحلات الحج أ ـ العنوان
ديوي: ٩١٥,٣١٢٠٤ ٢٢/٤٠٨٥
رقم الإيداع: ٢٢/٤٠٨٥
ردمك: ٢ ـ ٩٠ ـ ٦٩٣ ـ ٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب الأول



كتاب الدارة:
سلسلة دورية تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز لموضوعات الكتب القصيرة في مجالات التاريخ والآداب.

الإسهامات

ترسل البحوث باسم رئيس التحرير
ص.ب: ٢٩٤٥ ـ الرياض ١١٤٦١ ـ المملكة العربية السعودية، هاتف: ٤٠١١٩٩٩ ـ فاكس: ٤٠١٣٥٩٧
بريد إلكتروني: info@darah.org.sa

السعر

السعودية ٥ ريالات، الإمارات العربية المتحدة ٧ دراهم، قطر ٧ ريالات، البحرين ٥٠٠ فلس، الكويت ٥٠٠ فلس، سلطنة عُمان ٥٠٠ بيسة، المغرب ٨ دراهم، مصر ٧٠ قرشًا، تونس دينار واحد، خارج الدول العربية ما يعادل دولارًا أمريكيًا واحدًا، ترسل طلبات الكتب بشيك مصدّق باسم دارة الملك عبدالعزيز على العنوان الآتي: ص.ب: ٢٩٤٥ ـ الرياض ١١٤٦٤ ـ المملكة العربية السعودية هاتف: ٤٠١١٩٩٩ تحويلة ٢١٤٢ ـ فاكس ٤٠١٣٥٩٧. بريد إلكتروني: info@darah.org.sa

شركات التوزيع

السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع، الرياض، هاتف: ٤٧٨٢٠٠٠
مصر: مؤسسة الأهرام للتوزيع، القاهرة، هاتف: ٥٧٨٦٢٠٠
الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة، دبي، هاتف: ٦٦٥٣٩٤
البحرين: مؤسسة الهلال للتوزيع، المنامة، هاتف: ٢٩٤٠٠٠
الكويت: المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع، الكويت، هاتف: ٢٤١٧٨١٠


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com





تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإنّ دارة الملك عبدالعزيز دأبت في تنفيذ البرامج والمشاريع العلمية التي تُعنى بتاريخ المملكة العربية السعودية في المجالات كافة؛ تحقيقاً لأهدافها وخدمة لكل باحث وقارئ.

وفي هذا المسار تعتزم الدارة إصدار سلسلة دوريّة متخصِّصة على هيئة كتابٍ يُنشر كل ثلاثة أشهر، بحيث يختلف في شكله ومضمونه عن مجلة الدارة.

وتأتي هذه الرحلة المكية (التحليق إلى البيت العتيق) للدكتور عبدالهادي التازي أولى حلقات هذه السلسلة المتخصِّصة.

كانت أحداث هذه الرحلة في موسم حج عام ١٣٧٨ هـ، كتبها المؤلف وهو آنذاك رئيس للقسم الثقافي بوزارة التهذيب الوطني في المملكة المغربية، وقد صدر أمرٌ ملكي مغربي بتعيينه ضمن أعضاء الوفد الذي يمثل الملك محمد الخامس في حجّ ذلك العام.

وننشر هذه الرحلة في كتاب هذا العدد لما تميّزت به من ثراءٍ في المعلومة، ودقة في الملاحظة، وشمولية في العرض لمختلف شؤون الحياة. كما أنها حوت أحداثاً مهمّة جديرة بالتوثيق، ورؤى صادقة تمسّ واقع تلك الحقبة.

وهي مع هذا كلّه بقيت كما كتبها المؤلف بعفوية من أول يوم من أيامها، لتبقى ذكرى للأسلوب والحدث.

والقارئ حينما يسترسل في قراءة هذه الرحلة يشعر بأنه يشارك الكاتب في أجواء الرحلة، وأحداثها، وظروفها.

كما أنه سيخرج برصيد معرفي عن الجوانب الدينية والاجتماعية والثقافية والصحيّة في ذلك الزمن.

أملنا أن يكون هذا الإصدار إضافة ذات قيمة علمية، ولبنة في بناء الدراسات التاريخية للمملكة العربية السعودية.

سائلين المولى أن يكلّل الجهود بالتسديد، فهو الموفق لكل خير.

دارة الملك عبدالعزيز

مقدمة المؤلف

كتبت هذه المذكرات منذ موسم حج ١٩٥٩م = ١٣٧٨هـ ، أي قبل أزيد من أربعين سنة، وكانت ثالث رحلةٍ لي بالطائرة، بعد أولى إلى باريس في نوفمبر ١٩٥٥م للسلام على جلالة الملك محمد الخامس عندما عاد من منفاه منتصراً في المعركة التي خاضها مع الشعب لاسترجاع استقلال المغرب، وبعد ثانيةٍ إلى دولة الكويت للمشاركة في الدورة الرابعة لمؤتمر الأدباء العرب، ديسمبر ١٩٥٨م.

كانت رحلةً مليئة بالفائدة، عرفتني أكثر ـ وكنت بحاجةٍ إلى ذلك ـ على العالم الذي أعتز بالانتماء إليه، بما يزخر به من معطيات لم أجدها في فضاءاتٍ أخرى.

وقد فضلت أن تبقى هذه المذكرات كما كتبتها أول يوم حتى تبقى ذكرى للأسلوبِ والحدث، وحتى نعرف عن رحلات الرفقة وظروفها وصروفها.

فعسى أن يجد فيها القارئ ما كنت أؤمله من جعله ـ وبكل عفْوية ـ في الصورة التي عشتها. إن الكاتب عندما يأخذ قلمه لا يكتب من أجله هو، ولكنه يكتب على أمل أن يشاركه القراء في الظروف التي كان يحياها. ذلك كان حافزي وأنا أسجل مذكراتي في جميع الرحلات الجوية التي قمت بها عبر العالم. وقد وصلت

اليوم إلى ما يناهز ألفاً وسبعين رحلة، فهل ستعيشون معي في هذه الرحلة التي فضلتُ أن أعطيها اسم (التحليق إلى البيت العتيق) ؟.

د. عبدالهادي التازي

لقد غنيت المكتبة العربية بأدب الرحلات، لكنها ـ أي المكتبة ـ أثرى وأغنى بنوع خاص. ذلك النوع هو الرحلة إلى البقاع المقدسة، فإن الإسلام ـ منذ كان ـ يعد الحج في فروضه المطلوبة، وجميلٌ أن نستعرض هذه الرحلات سنةً بعد سنة من أيام الجمال والبغال إلى المراكب الشراعية، إلى السفن البخارية، إلى الطائرة، فإن في ذلك تاريخاً للتطور الذي استهدفت له الحياة.

ولقد حُبب إليَّ أن أتحدث ـ وقد أتيحت لي الفرصة ـ عن هذه الرحلة كما تمت في موسم الحج لسنة ١٣٧٨هـ أي في شهر يونيه ١٩٥٩م، وحسبي من ذلك أن أضيف حلقةً إلى تلك السلسلة الطويلة من أدب الرحلات، ولقد حرصت على ألاّ أتاثر بأسلوب حاجٍ سبقني حتى أحتفظ لرحلتي بالطابع الذي أردته لها.

لقد عرف المغرب منذ القدم وفداً رسمياً يمثل الدولة في موسم الحج، ولعل أقدم ما بلغنا من صدى عن هذا الركب يرجع إلى أواسط العهد الموحدي، ولكثرة ما تملك المغاربة من هيام بتلك البقاع فقد تعددت الركاب المغربية، وهكذا فبعد (الركب الصالحي) من أسفي، تكوَّن (الركب الفاسي)، منذ أوائل دولة بني مرينَ، ثم الركب السجلماسي والمراكشي ثم الشنقيطي، ومن الطريف أن نقرأ عن مدى اهتمام المغاربة بوفدِهم الذي كان يتألف من هيئة عليا فيها سراة البلاد، كما يتألف من عددٍ من رجال الفضل الراغبين في الحج. ويحمل الوفد عادةً شارةً خاصة به،

ويقصد الطريق من فاس عبر مدينة تازة إلى الحرمين الشريفين عبر المراحل التي تحدثت عنها معظم كتب الرحلات.

ويحمل الوفد على العادة ما يسمى (الصُّرة المغربية) بما تحويه من هدايا ثمينة، ورسالة اعتماد الوفد المرفوعة إلى خادم الحرمين من عاهل المغرب، ثم بعد أداء المناسك يكون يوم دخول الركب إلى المغرب يوماً مشهوداً.

عطف ملكي

دق جرس الهاتف قبيل زوال يوم الإثنين ٣ ذي القعدة ١٣٧٨هـ / ١١ مايو ١٩٥٩م " إن التشريفات الملكية تنتظرك..." وغادرت المكتب بعد أن عهدت لمساعدي بالاعتذار عني وقضاء مهمةٍ كانت تنتظرني. كنت بعد دقائق لدى سعادة الأستاذ السيد أحمد بناني مدير التشريفات الذي سألني (في كلمتين) عن مدى استعدادي للقيام بحج البيت، وبطبيعة الحال أعربت له عن امتناني، ومضيت راجعاً إلى بيتي مستعرضاً في طريقي ما يلزمني في هذه الرحلة المحتملة.

تدابير صحية

وفي ضمن ما أحدث منذ أعوام تشريعات تقضي بالاحتياط من الأوبئة التي يمكن أن تهدد الحجاج، فإن اجتماع زهاء مليون من البشر في صعيدٍ واحدٍ من مختلف الجهات، في مختلف الأعمار، ومن دون رقابةٍ طبية، أقول: إن ذلك الاجتماع جدير بأن تتخذ من

أجله التدابير حتى يتم في أحسن الظروف، وبما أن المغرب المستقل منخرط في منظمة الصحة العالمية، فقد أصبح عليه أن يضيف الجواز الصحي إلى جانب الجواز العادي، وهو عبارة عن دفتر أصفر يكون بمثابة شهادةٍ دوليةٍ بحالك الصحي، وهكذا فقد طلب إلينا أن نذهب منذ صباح الجمعة ١٥ مايو ـ دون فطور ـ للمكتب الصحي ببلدية المدينة، وذلك من أجل تحمل تلك الإجراءات الصحية التي أصبحت ضروريةً للذين يقصدون تلك الديار.

بقية الإجراءات

وإذا كنا قد تحملنا مع الناس لسعاتِ التلقيح، فإن شؤوننا الباقية ـ وهي أهم وأكثر تعقيداً ـ عُهد بها إلى إدارة التشريفات الملكية، ولا نغفل عن أن تلك الشؤون كانت تتجمع في إعداد الجواز والتأشيرة من لدن سفارة المملكة العربية السعودية، ثم في تصريف العملة المغربية وترحيلها إلى بنك (لاندوشين) بجدة، وأخيراً اقتطاع ورقة الذهاب والإياب على متن الخطوط الملكية المغربية بالطائرة (الكونستطلاسيون)، وما من شك في أن قيامنا بمثل هذه الإجراءات من شأنه أن يُتعب، لكننا لم نشعر إلا والأستاذ المسطاسي من التشريفات يزورنا وقد توفر على ظروف تحمل الجواز وورقة الطائرة، إلى جانب حوالةٍ نقديةٍ صلةً من لدن جلالة الملك.

وفي مساء يوم الإثنين خامس ذي القعدة / ١٣ مايو، صدر بلاغ عن التشريفات الملكية يقول :

" لقد أصدر صاحب الجلالة الملك محمد الخامس أمره الشريف بتعيين وفد ليمثل جلالته في موسم الحج تحت رئاسة السيد مبارك البكاي رئيس الحكومة السابق، والسيد المكي بادو المكلف بوزارة الأحباس، والسيد عبدالسلام الفاسي رئيس مكتب الأبحاث والإرشادات، والسيد الأمير محمد فال ابن عمير أمير الطرارزة، والدكتور الخطيب طبيب بالدار البيضاء، والسيد عبدالهادي التازي رئيس القسم الثقافي بوزارة التهذيب الوطني " .

الرسالة الملكية للحجاج :

وفي هذه الأثناء وجه العاهل رسالةً مكيةً إلى الحجاج هذا نصها :

"الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

كتابُنا هذا ـ أعلى الله قدره وأعز أمره ـ موجه إلى رعايانا الأوفياء المخلصين، المتوجهين إلى الديار المقدسة لحج بيت الله الحرام وزيارة قبر رسوله عليه الصلاة والسلام، نعظهم فيه ونذكرهم، فالنصيحة من العُمَد المتينة التي قام عليها الإسلام، والذي نوصيكم به تقوى الله في الإعلان والإسرار، والإخلاص له في آناء الليل وأطراف النهار، وأكثروا لله الحمد، وأجزلوا الشكر على ما أولاكم من النعم، وبرّأ من النقم، فقد منحكم العزة

والكرامة، وأعاد إلى وطنكم الحرية والسيادة، وأمن قلوبكم بعد الخوف، ومكن لكم دينكم بعد الحيف، وصدق لكم ما وعد به عباده المتقين، واعلموا أنكم قادمون على أرضٍ، أولِ موضع للناس من البيوت خص بالعبادة فيها الرحمن، أرضٍ منها أشرقت الهداية المباركة لتوحيد الواحد الأحد دون شرك ولا مشاركة، وفيها جَدَث طاهر يضم رفات سيد المرسلين المبعوث رحمة للعالمين، فأقدموا على هذه الأرض الطيبة بنفوسٍ زكيةٍ وضمائر نقية، واغتنموا فرص الدعاء في المواطن التي هي مظنة الاستجابة، واستعينوا على قبوله بخالص التوبة إلى ربكم والإنابة، فـ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة آية ٢٧]. وستصل المناسبةُ السعيدة الأسبابَ بينكم وبين إخوانٍ لكم مسلمين مؤمنين مثلكم محسنين، تربطهم وإياكم آصرة العقيدة، وتوحد وسائلكم وغاياتكم المصالح المشتركة العديدة، فعرفوهم بحالكم واسألوهم عن أحوالهم، واذكروا أنكم سفراء بلادكم وممثلو أمتِكم في تلك الأرض وبين أولئك الإخوان، فإياكم وما يسيء سمعتها، وعليكم بحسن الشيم ومكارم الأخلاق، وابسطوا أيديكم بالإحسان إلى من عضَّهم الدهر بناب الخصاصة وجعلهم يعيشون عيشة ضنكة.

وعنايةً بكم وصيانةً لأنفسكم وأمتعتكم، وسهراً على راحتكم. جعلنا على رأس ركبكم الميمون وفداً من خدامنا المخلصين، الأوفياء العاملين.

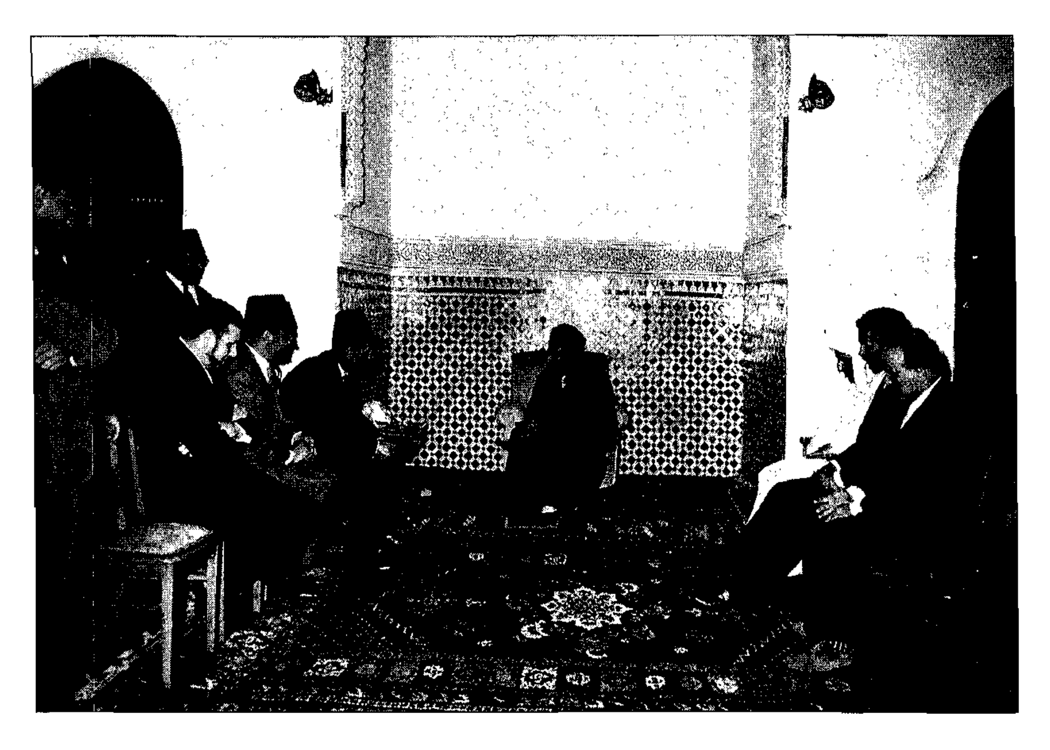
ونحن على يقين من أنهم لن يقصروا في قضاء مآربكم وتلبية مطالبكم وتحقيق رغائبكم، فاعملوا بإرشاداتهم، واتبعوا نصائحهم، وامتثلوا لما يأمرون به لخيركم وينهون عنه.

كما أمرنا سفارتنا الملكية بجدة أن تعمل لتيسير أسباب أدائكم لتلك الشعائر المقدسة، ولا تألو جهداً في تذليل ما يواجهكم من المصاعب ويعترضكم، فطيبوا نفساً وقروا عيناً، والله ـ تعالى ـ يهبكم النجاح والتوفيق، ويهديكم إلى أقوم طريق، ويعيدكم إلى وطنكم سالمين، وفي ذيول المغفرة والرضوان رافلين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته " .

وحرر في عاشر ذي القعدة عام ١٣٧٨هـ الموافق ١٠ مايو ١٩٥٩م، وسجل بالتشريفات الملكية في التاريخ المذكور.

لدى صاحب الجلالة

وفي صباح يوم الخميس ٢٦ ذي القعدة / ٤ يونيه الساعة الحادية عشرة وعشر دقائق أذن للوفد المغربي بالمثول بين يدي صاحب الجلالة، وقد حضر مدير التشريفات، ومساعده، ومدير الديوان الملكي، ورئيس قسم الصحافة، علاوةً على رجال الأخبار السينمائية، وقد كان الملك كما عهدناه دائماً جلالاً وجمالاً. قال جلالته : " نحن نغبطكم قبل كل شيء في زيارتكم للبقاع المقدسة التي كانت للإنسانية نعم النور، وكانت للروح نعم السنَد، ونحن بحول الله على نية زيارتها في أنسب فرصة، إنما لنا عليكم أن تذكرونا عند تلك الأماكن بصالح الدعاء، الدعاء ليس لشخصنا



جلالة الملك محمد الخامس يزودنا بتعليماته السامية
(١٩٥٦/٦/٥م ـ ٢٨ ذي القعدة ١٣٧٨هـ)

فقط، ولكن لهذا المغربِ العزيز، ولصالح العالم الإسلامي والعربي... ".

وبعد أن تفضل جلالته فأشاد بالخدمات الجلى التي عرفها لأعضاء الوفد، ذكر بأن مهمتهم في الشرق لا تقتصر فقط على أداء واجبٍ ديني صرف، ولكنها تتعداها إلى الدعاية للبلاد والتعريف بها.. " ونحن ـ يقول صاحب الجلالة ـ لا ننتظر منكم إلا أن تعطوا صورةً صادقةً عن المغرب بما في ذلك واقعه، ونحن لا نرتجي أن يكون المتحدث عنا متأثراً بعاطفة ما، ولكن متأثراً فقط بمزايا الإنصاف، ما لنا وما علينا كذلك يجب أن يذكر، وليس من

بأس على أمةٍ فتية أن تجتاز بعض المراحل العصيبة، وفوق هذا فأنتم عين رحيمة بالحجاج المغاربة خذوا بيدهم ما أمكنكم ذلك" .

وهنا تصدى الرئيس البكاي، فشكر العاهلَ الكريم على توجيهاته السامية التي ما فتئ ينثر بها خلصاءه، وذكر أنْ جميع الأعضاء ممنونون له بهذه الحظوة، وأن كل ما يقوم به المغربي حيال العاهل الكريم لا يمكن أن يفي بما لجنابه من فضلٍ على هذه البلاد التي عرفت طريق النور بسببه وعرفت السيادة في شخصه.

وبعد هذا توجه العاهل نحو الرئيس، وطلب إليه أن يبلغ عاهل المملكة العربية السعودية الملك سعود بن عبدالعزيز آيات وده وإخلاصه وأن المغرب ما نسي ولن ينسى أبداً تلك الأيام القصيرة الزاهية التي قضاها العاهل السعودي بين ظهرانيّ المغاربة، وأنه يتمنى تكرارها، وهو - أي المغرب - ما يزال رطب اللسان بالحفاوة البالغة التي لقيها سمو ولي العهد مولاي الحسن بالديار المقدسة عندما قام بعمرته المشكورة، ولا عجب أن تُتبادل مثل هذه الزيارات، فالوطن العربي وطن للعرب أجمعين ولذلك فإن عليهم أن يكثروا من شأن هذه الزيارات.

وهنا ناوله العاهل ظرفاً أخضر مطرزاً وعليه نجمة خماسية، وقد احتوى نص (التوصية التقليدية) بالحجيج المغربي والوفد الرسمي بصفةٍ خاصة. كما سلمه ظرفاً أخضر ثانياً، وكان يحتوي على

رسالة ملكية إلى جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز، وقد أكد على الوفد المغربي بمهمة التعريف بالمغرب الحديث قائلاً : إن المغرب عنصر الوفاق والتصالح بين المسلمين، وليس هو لدولةٍ على دولة. وفي ختام اللقاء، قال: يجب أن تظلوا على اتصالٍ دائمٍ بسعادة سفيرنا في جدة وأبلغوه سلامي، ثم كان الجواب الأخير للرئيس البكاي بأنه لا يجد العبارات الكافية التي تعبر عن شعوره وشعور الوفد، وأنه يعتبر نفسه كبقية الأعضاء خادماً.

الوصايا والرسائل

ويكون لزاماً على قاصد بيت الله أن يأخذ بجانب الاستعداد، وفي العادة أن يزورك إخوان ممن سبق لهم أن زاروا تلك البقاع. وهنا يجب أن تصغي لمختلف (الوصايا) التي كانت وليدة تجارب، وكثيراً ما تلاحظ (التضارب) في حكايات الحجاج إلا أن هناك قدراً يتفقون عليه أو يكادون، ذلك أن عليك أن تأخذ احتياطاتك للمناخ القاسي الذي ينتظرك، فمنهم من ينصحك بأن تصحب معك الليمون والخل، وفي الناس من يوصيك بالمظلة، وفيهم من يحذرك مغبة الظهور خارج البيت في أثناء النهار. وجرت العادة من قديمٍ أن يصحب الحاج معه مضمة ينتطق بها تشتمل على جيوبٍ عدةٍ في مختلف الأوضاع حتى يضع فيها كل ثروته احتياطاً للطوارئ، وحتى يحتزم بها فوق إحرامه، لكن في الحجاج من عاد لا يكترث بشأن هذه المضمة التي قد تكون مجلبة لشرورٍ ومضايقات كذلك، وشيء آخر يدخل في بعض

المصحوبات، ذلك هو النعل التقليدي (غير المخيط) والمحيط، لكن طائفةً من الناس كذلك عادت لا تكترث بهذه النعال لا سيما وهي في غالب الأحيان عندما تلبسها وفي آخر لحظة فإما أن توافق قدمك، وإما أن تكون الأخرى، فتُمسي عذاباً لك وتصبح في عداد الذين يتعوقون ويتأخرون عن القافلة.

أما الإحرام (الإزار والرداء) فذاك ما لا يمكن أن يغادر حاج منزله دونه، إنما في الناس من ينصحك أن تختار أخف الأنواع فيه لا كثيفها.

دروس الماضي

وكان مما يدخل في دائرة الاستعدادات اغتنامُ الفرص لمراجعة المصادر التي تُعنى بشؤون الحج ومناسكه، وهكذا استرجعتُ أياماً كنت - وأعتز بذلك - أصارع فيها بعض الكتب سواء بجامعة القَرويين، أو بالمعتقل، أو في أثناء تحضيري لبروفي معهد الدروس العليا باللغة الفرنسية. لقد قرأنا فصولاً عن الحج بالقَرويين ونحن ندرس مختصر الشيخ خليل، ولكنها - أي تلك الفصول وأعترف بذلك - كانت غامضةً بالنسبة إلي ؛ لأن الأسلوب بالفعل كان أسلوباً تلغرافياً. ولما تطوعت في المعتقل بإعطاء بعض الدروس في الفقه وكان (المرشد المعين) لابن عاشر- وخاصةً بالحج - هو مصدري فيها وجدت أنه نِعْم المرشد.

وقد اصطدمت في امتحانٍ تحملته من أجل الحصول على "البروفي" بأسئلة عن الحج من بعض الأساتذة الفرنسيين بمعهد

الدروس العليا، كانت الأسئلة بحقّ مدعاة للبحث عما كُتب عن الحج باللسان الآخر، وهكذا درست مرةً أخرى ما قاله الأستاذ موريس كود فروي ديمومبين في كتابه (القواعد الإسلامية)[1] عندما تحدث عن الميزاب، ومساحة الكعبة وتخطيط مسالك الحاج، هذا علاوة على كتبٍ جدت، وفيها ما زود بالصور، وبعض الأرقام، إذًا يمكن أن أقول: إن لدي ما أعتمد عليه في هذه الرحلة إلى البيت العتيق سواء عند أسلافنا القدماء أو كتابنا المعاصرين.

ولم يقتصر تفقدي لمعلوماتي على ما يتصل بالمناسك والمسالك، ولكنه تجاوزه إلى هواية أخرى أهتم بها، تلك هي التوقيت، وهكذا أخذت جداول (اللُّوغارِيتمات)، وتذكرت شيخنا الفقيه العلمي واستخرجت المقوم ليوم الزينة سابع ذي الحجة ١٣٧٨هـ لعرض مكة المكرمة الذي هو ٢٨ ٢١° طول ١٦ ٤٥..

فهل سيكون الواقع هناك على نحو ما تعطيه هذه الحسابات؟.

(1) MAURICE GAVDFROY- DFMOMBYNES:
Fes INSTITUTIORVS MUSULMANES. P.8485 TROISIEME EIDI-TIAS 1946 FLAMMARION PARIS.

يوم الخَرْجـة

إذا كانت الأيام الماضية تمتاز بزياراتٍ متقطعة لبعض الأصدقاء والإخوان فإن المنزل يوم الوداع يكتظ بهؤلاء الذين يقصدونك من أجل البركة أو يؤكدون لك وصية سابقة، وفيهم من يتحمل السفر من مدينةٍ بعيدةٍ لقضاء بعض الأيام في ضيافة حاج الغد. ولهذا فإن المنزل يجب أن يتوفر على ما تزوّد به الواردين والواردات. وكيف يمكن أن تتخلص وقد دأب المغاربة على أن يقوم الحاج بشعائر "الخرجة" بما فيها من تكاليف ؟!

ولقد كانت هذه " الخرجة " في القديم ـ وما إخالها إلا باقية عند بعض الناس ـ تتسم بمظاهر واحتفاءاتٍ زائدة، بيد أنها ـ وخاصة بالنسبة للذين يسكنون في الأحياء الجديدة ويحيط بهم من الجهات الأربع جوار من حضاراتٍ أخرى ونحلةٍ ثانية ـ خفت وطرأت عليها بعض التغييرات.

في المطـار

وقد تألف موكب من السيارات في منتصف الليل، في اتجاه مطار سلا المدني، لقد اختلستُ دقائق عصر هذا اليوم لأبلغ إلى مركز الخطوط الملكية حقيبتي، ولم أحمل معي سوى خُرجٍ يدوي يحتوي على (المصحف) وبعض الأغراض الضرورية.

لقد كان على الطائرة التي أقلت الحجاج من الدار البيضاء أن تنزل بسلا خصيصاً لأعضاء الوفد وبعض المرافقين له من القصر الملكي، شعرت عند الخروج من المنزل بعد أداء ركعتين بقُشَعريرة

انتفاضة ما نسيتها. وتوالت خفقات قلبي عندما اتجهت السيارة إلى اليسار، مودعةً طريق فاس إلى مطار سلا، في هذا المطار المكتظ بالمؤمنين والمؤمنات من الذين وردوا لتوديع حجاج بيت الله، وكان رجال الدرك يقفون بثيابهم الجميلةِ على الطريق المؤدية إلى المطار، يشيرون إلى الموكب باتجاه المطار الذي كان مظهراً آخر من المظاهر التي تؤكد حقيقة المغرب المسلم، إن هنا الشيخَ والكهلَ والشاب والطفل، والكل يتمنى أن لو حظي هو كذلك بارتياد تلك الأبهاء، لقد تحول المطار إلى عُرس بالفعل. واضطرت إدارة الأمن الوطني لتقوية عناصرها لضبط تشوّقات المودعين وتجاوزاتهم كذلك، فإن جلهم يريد أن يصل بالحاج إلى سلم الطائرة. إن جانب الدّين في البلاد يطغى دون ريب على جانب الأدب فلقد أخذت الطائرة إلى باريز ١٩٥٥م، وأخذتها إلى الكويت ١٩٥٨م وما شعرت بشيءٍ وأنا أغشى المطار، لكني اليوم أشاهد بحراً خضماً من البشر، وإن عيوني وأنا على سلم الطائرة عَشَت من آثار برق " الفلاشات "، فالمصورون المحترفون والهواة كثير، والصحفيون كذلك.

غادرنا مطار سلا على متن (كونسطلاَّسيون) في الثانية وخمس وثلاثين دقيقة من صباح يوم الجمعة ٢٨ ذي القعدة ١٣٧٨هـ / ٠٥/٠٦/١٩٥٩م... بعد إغماضة جفنٍ استيقظت على خيوط الشمس، لقد كنا ـ في اتجاهنا للشرق ـ نبحث عن الشمس، الحجاج بلباسهم الأبيض بين مرتّلٍ وذاكر، تلوت نصيبي من القرآن

لهذا اليوم : ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ [سورة الأعراف آية ٣٥] ﴿وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف آية ١٨٨]، وصلنا بنغازي مطار (بنينة) Bnina للراحة قليلاً حيث اجتمعنا بالأستاذ عبدالهادي الشرايبي القائم بأعمال السفارة المغربية الذي كان أستاذاً لي في مدرسة النجاح، وجدناه في استقبالنا إلى جانب موظفين ساميين من وزارة الخارجية الليبية.

فهل نصلي أولاً أو نتناول فطورنا الأول ؟ في الناس من اقترح البداية بالصلاة للتفرغ للأكل كما يجب ! لكن الدكتور الخطيب يقترح الأكل أولاً. إن الأصحاء في الصين يؤدون ـ ما داموا أصحاء ـ للطبيب الخاص ضريبةً، فإذا مرضوا انعكست الأمور فعالج الطبيب المرضى مجاناً ! فحتى نظل مستفيدين منكم ـ يقول الدكتور ـ : تناولوا أكلكم أولاً !!

وقد استمر "واعظ الركب" يترجم لنفسه، وكان ذلك بعد أن أصرَّ على ألا يتناول ما ليس فيه سكر ! قال : إنه إنما عرف بلوغه فقط لما تزوج ! وإن الحجام (بو خرص) هو الذي يرسم له الطريق!

قضينا بعض الوقت في الحديث، ثم أخذنا متن الطائرة من جديد، تناولت غذائي على صداع ألم بي في أذني اليمنى، الحديث الذي كان يروج هل سنبدأ بالزيارة أو بالحج ؟ وهل سنحج مفردين أو قارنين أو متمتعين ؟

وأخيراً وطئنا أرض جدة !

كان في استقبالنا بالمطار سعادة السفير الأستاذ محمد غازي صحبة رفيقه في النضال السيد الحاج أحمد الشرقاوي حيث أخذنا تواً إلى دار السفارة.

لقد دخلنا السفارة تحت عَلَم المغرب الخفاق، سألت عن الأصدقاء السعوديين الذين عرفتهم في الكويت بمناسبة مؤتمر الأدباء، الدورة الرابعة ١٩٥٨م.

واعظ الركب دوماً يفاجئ الذين يضيفوننا، بعد أن يحضّروا ما يحضّرون، من شاي أو حليب أو قهوة ـ بأنه لا يتناول الحلو بالرغم من أنه يتناول في غذائه نسبةً كبيرة من السكر !!

كلنّا يلهث من الحر، والذين عهد إليهم بخدمتنا لا يفتؤون غادين رائحين بالبارد... بارد ! هات باردًا ! ميزان الحرارة هنا في الصالون المكيف ٣١ إلى جانب الرطوبة ! والأستاذ غازي يهنئنا بالحظوة التي حبانا الله بها حيث إن درجة الحرارة خفت هذا اليوم!.

وبعد هذا اشتغل كلٌّ بما عهد إليه، ولقد كان السفير الصغير جمال الدين غازي يلوذ بأذيال والده مكتفياً باختلاس النظرات في هؤلاء الزوار الجدد !.

في قصر كندرة

كان فندق قصر كندرة ملكاً لشركة مصرية سعودية وكان هو مسكننا بإرشاد السفارة التي أعطتنا أيضاً اسم السيد عبدالوهاب جمال الحريري بوصفه مطوفًا.

وقد أثارت انتباهي هذه الجملة التي كتبت فوق مغسل الفندق الذي سكناه : " المرجو من السادة النزلاء أن يقتصدوا ما أمكنهم ذلك في استعمال الماء وذلك لقلته بجدة حالياً" . إن الماء هنا يحسب له ألف حساب ولو في أرفع الفنادق المكيفة !.

استيقظنا في الخامسة صباحاً بتوقيت الرباط.

زيارة سمو ولي العهد

كانت الظاهرة التي أثارت انتباهي ـ ونحن ننتظر تحديد موعدٍ لزيارة سمو ولي العهد الأمير فيصل ـ أنهم أخبرونا بأنه سيكون في الساعة الثانية عشرة، فسألت : هل السيارة مكيفة ؟ لماذا ألقيت السؤال؟ لأن الثانية عشرة عندنا بالمغرب تعني وقت الزوال حيث يشتد الحر! وتبين لي فيما بعد أن القصد إلى ساعة الغروب، إن التوقيت كان يصطلح على هذا، وليس على توقيت جرنيتش!! فعلاً كان موعدنا مع سمو الأمير عند الغروب برئاسة الحكومة في جدة، كلّ أحاديثه كانت تدل على أنه شخصية بعيدة النظر، أثنى على جلالة محمد الخامس وشكر جهوده من أجل استقلال الجزائر، وفي معرض حديثه عن مشكلات البلاد الداخلية قال : " إن

أوضاع البلاد العربية الداخلية تسيطر إلى حد كبير على المشكلات الخارجية... " .

كان قصراً فخماً، ولكن درجة الحرارة فيه نازلة تجعلك تفكر فيما عساه يطرأ عليك وأنت تغادر المكان ! وشعرنا ونحن نهمُّ بالوصول إلى باب القصر عند الخروج أننا نستقبل فيحاً يلفح الوجوه !

جولة في جدة مع الدكتور أحمد العراقي

وتعرفت في جدة على رئيس البعثة الطبية المغربية لموسم الحج الدكتور مولاي أحمد العراقي الذي لمست فيه مثال النُّكران للذات في واجبه وفي إسعاف مرضاه، هذا إلى دماثة في الخلق، كان من السابقين إلى جدة فصحبنا لزيارة معالمها من بنوك، ومخازن، ومن المعتاد أن يكون المتجولون عُراة الظهور والصدور؛ لأنهم في حالة إحرام.

في انتظار القيام بعمليات تحويل العملة، ومراجعة لوائح أصحاب الصِّلات الملكية، كلٌ يقوم بالمهمة التي أسندت إليه، لقد كان من عملي مساعدة السيدين الفاسي وبادو في التثبت من أسماء الذين يُوصَلون عادة من لدن ملك المغرب من سكان الحرمين في كل موسم من مواسم الحج، فلقد جرى الأمر منذ القدم على تبليغ عائلات معينة وأفراد معروفين بمبالغ منتظمة من المال، على ما هو معروف في حوالات الأوقاف المغربية القديمة، والمراسيم السلطانية، إن الملوك في المغرب لا ينسون

واجبهم في المشرق ؛ لأنهم مع ذلك المشرق، يعيشون آناء الليل وأطراف النهار.

وبعد زوال هذا اليوم كنا على موعد مع اللقاء المفيد الذي نظمه سعادة السفير في بيته للاجتماع بعددٍ من الشخصيات السامية في جدة، كان فيها العالم والأديب.

لقد كنت أتوق للاجتماع بعددٍ من السادة الأجلاء في المملكة العربية السعودية ممن عرفتهم في مؤتمر الأدباء الذي جرى بالكويت على ما أشرت أمثال الأساتذة عبدالعزيز الرفاعي، أحمد السباعي، أو سمعت بهم أو قرأت لهم أمثال الشيخ عبدالقدوس الأنصاري صاحب مجلة (المنهل) وكنت أقرأ له في المجلة المذكورة، وقد بشرنا السيد السفير أننا على موعد مع هذا الأستاذ ظهر هذا اليوم.

لقد كنت أعرف الأستاذ الشيخ عبدالقدوس في الواقع عن طريق الخلية الوطنية التي كنا ننتمي إليها، والتي كانت تفتح عيوننا على ما ينشره الأستاذ عبدالقدوس.

ما زلت أذكر ـ مع رفاقي في الخلية ـ تهافتنا على استنساخ الجزء الممتاز من مجلة (المنهل) الذي صدر في نهاية العام الثاني من حياة المجلة، وبالضبط في شهر شوال وذي القعدة ١٣٥٧هـ / نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٣٨م.

حديث في ذلك العدد عن نجاح المنصور على ذي النفس الزكية، وحديث آخر عن بساطة قواعد اللغة العربية، وثالث عن كتاب الدكتور طه حسين : "حافظ وشوقي... " .

وقد عشنا في هذا العدد مثلاً مع بشرى نجاح سمو الأمير عبدالله الفيصل في اجتياز شهادة الدراسة الابتدائية !!.

فعلاً وجدنا أنفسنا في دار السفارة المغربية بجدة مع نخبة مختارة من أهالي المملكة، من رجال العلم والفضل حيث أُخِذ لنا عددٌ من الصور التذكارية، لقد اكتشفت في الشيخ الأنصاري زميلاً وأخاً كأنني كنت أعرفه منذ زمن طويل، فقد ظللت ملازماً له سواء عند تسجيل الفوائد أو تقديم الموائد !!.

تبودلت عدة أحاديث تاريخية وأدبية واجتماعية.

تساءل بعضنا عن (قبر أمنا حواء) في جدة ؟ وعن موقع بئر بيرحاء الذي تقع عليه "ما" في الآية الشريفة : ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [سورة آل عمران، آية ٩٢]، حيث دلنا الحاضرون على موقع البئر في المدينة المنورة التي نعتزم زيارتها.

وتساءل بعضنا عن بئر أريس حيث وقع خاتم رسول الله الذي صار إلى عثمان بن عفان، فوقع منه في هذا البئر الذي يحمل عند بعض الناس اسم بئر الخاتم.

وكان حديثاً طريفاً عن الحركة الأدبية في بلادنا وفي المملكة العربية السعودية، مقارنات ومفارقات، لقد كان الشيخ عبدالقدوس من أبرز أركان الحركة الثقافية في المملكة بما كان يسهم به من



في بيت السفير المغربي الشيخ محمد غازي مع عدد من الموظفين السامين بالمملكة العربية السعودية.

فسح المجال في مجلته الوحيدة لسائر رواد الفكر في المملكة وغيرها على هذا العهد.

وما زلت أذكر سؤالاً وجهته إليه آنذاك، هل كل ما يصل للمجلة قابل للنشر ؟! أجاب نعم بالنسبة لمعظم ما يرد علينا، لكن البعض الآخر يكون بحاجةٍ إلى تصليح أو تنقيح، وإننا نسعى أن نشجع الكتاب الناشئين؛ ولهذا فنحن لا نتردد في إدخال التحسينات الضرورية. على ما قد يصلنا مما يحتاج إلى تعديل، لقد أخذ أشياخُنا بيدنا - يقول الأستاذ عبدالقدوس - فلم لا نأخذ نحن بأيدي أبنائنا ؟.

وكانت فرصة أن نقدم لزملائنا السعوديين العدد الثامن من مجلة "دعوة الحق" في سنتها الثانية الذي صدر في شهر مايو ١٩٥٩هـ ذي القعدة ١٣٧٨هـ، وكان رئيس تحريرها الأستاذ عبدالقادر الصحراوي حيث تجاذبنا أطراف الحديث حول مواد المجلة المغربية المذكورة، وكان الحديث عن فعاليات الأسبوع الثقافي الذي دشنه يوم ١٥/ ٠٤/ ١٩٥٩م ولي العهد الأمير مولاي الحسن محوراً لإثارة النقاش عن الحركة الثقافية في بلادنا.

وجرى الحديث عن موضوع الحركة السلفية بالمغرب الذي حاضر عنه الأستاذ محمد الفاسي، وعن مقاصد التشريع الإسلامي الذي كتب عنه الأستاذ محمد المنوني، وعن الاسترشاد بروح النصوص قديماً وحديثاً الذي كنتُ تناولته في عدد المجلة، وذكرنا الأستاذ محمد المختار السوسي في قصيدته الوطنية أيام النضال الوطني، وقد ظهرت بالعدد المذكور من المجلة قبل قصيدة للشاعر محمد الحلوي (من وحي القرية)، كان عدداً حافلاً بالموضوعات التي جعلت إخواننا يلحون على أن يبعث إليهم بالمجلة بانتظام، لقد فعلنا خيراً عندما تنبهنا لاصطحاب المجلة معنا، كانت بطاقةً تعريف جيدة بالمغرب لا سيما بعد أن قدموا لنا مجلتهم (المنهل).

ولقد توجهت بالسؤال للسيد عمر السقاف حول ما إذا كانت له علاقة بالشيخ السقاف الذي ورد ذكره في بعض حجج الوقف المغربية القديمة، وتدخل الشيخ عبدالقدوس ليذكر أن بيت السقاف بيت من حضرموت أصلاً، وتساءل هل كان القصد إلى السقاف

الذي توفي بمكة أو الذي أدركه أجله بحيدر أباد ؟، وقد أيد السيد عمر هذا التدخل مضيفاً إليه حديثاً جد مفيد عن بيت السقاف ومكانته في العلم والصلاح وسرد عدداً غير قليل من المنتسبين لهذه الأسرة.

كانت أمسيةً ثرية نسينا معها غرفنا في فندق قصر الكندرة، لكنا افترقنا على موعد مع الشيخ الأنصاري الذي ألح على أن يرانا في بيته.

وقد زرت أقرباء لي رباطيين من بيت ملين حيث اطمأننت على أحوالهم.

زيارة سمو الأمير فهد

لقد كنت شخصياً أحمل معي رسالة بتاريخ ١١/١٣٧٨هـ (١/٦/١٩٥٩م) مرفوعة من وزير التهذيب الوطني الأستاذ عبدالكريم بن جلون إلى صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبدالعزيز وزير المعارف بالمملكة العربية السعودية، كان هذا نص الرسالة :

(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، عن خير مولانا الإمام دام له العز والتأييد وبعد:

فاغتناماً لفرصة وجود الوفد المغربي الرسمي بالأراضي المقدسة بمناسبة موسم الحج، رأيت أن أعهد لأحد أعضائه الأستاذ عبدالهادي التازي رئيس الفرع الثقافي بوزارة التربية الوطنية بالاتصال بوزارة المعارف السعودية بغية الوقوف في عين المكان

على مختلف مظاهر النشاط الثقافي ببلادكم العزيزة، ثم على بعض الأماكن التاريخية التي كان لها شأن يذكر في الإسلام، وإني إذْ أجدد لسموكم تقديري الكبير آمل للمملكة العربية السعودية اطراد التقدم والنجاح في كنف عاهلها العظيم أبقاه الله ذخراً للإسلام والعروبة).

تمَّ الاستقبال أيضاً في الساعة الثانية عشرة أي عند الغروب، وكان استقبالاً مفيداً جداً، وقد طلب إليَّ سمو الأمير فهد بن عبدالعزيز أن أقوم بزيارةٍ خاصةٍ للمملكة للوقوف على الحركة التعليمية بالبلاد عن كثب.

فإلى المدينة

إن بيننا وبين المدينة (٤١٤) كم حسب اللافتة التي واجهتنا في أول الطريق، ولقد صحبنا ضابط خاص (سالم البار) كان يسهل علينا المهام علاوةً على أوراق المجاملة التي نتوفر عليها، غادرنا السفارة عند الغروب، ثمان سيارات في القافلة.

وفي رابغ تناولنا بعض السمك، لقد كنت اصطحبت من المغرب كمية من الليمون فكانت مرجعي كلما هممت بتناول شيء، ثم وصلنا محطة "مستورة" حيث استرحنا على بعض "الشبريات" من الدوم وحيث قدَّم لنا (حذافة) بعض الحبحب.

سمعتهم يتحدثون عن اسم (ابن لادن) العصامي الذي كوّن ثروةً هائلةً من عرق جبينه، وسمعت أيضاً بالسيد (ابن خضراء) صاحب

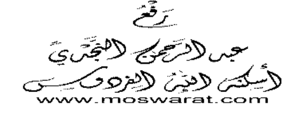
معمل الرخام الذي ترجاني الفقيه الصبيحي باشا سلا في تبليغ رسالةٍ إليه، كنا في تجولنا بين هذه المقاهي التي تقع على قارعة الطريق نتعرف على بعض الحجاج، إن فيهم أطفالاً صغاراً محرمين.

ولم نصل إلى (بدر) حتى التاسعة وعشرين دقيقة بتوقيت الرباط من يوم السبت ٠٦/٠٦/١٩٥٩م. هذا "بدر" الذي نصر الله به المسلمين في الوقعة المشهورة، ما يزال أمامنا (٢٣٩) كم ومن هنا إلى "العريش". وبعد إغفاءةٍ أخذت معالم المدينة تظهر بينما القلوب تخفق على أبواب المدينة في منتصف الليل، فلتُضف ما تضيفه من ساعات. منار المسجد النبوي يتلألأ استعداداً لتقبل المصلين في الفجر، البيوت على أبوابها بعض السوائم، اغرورقت عيوني دمعاً لما رست السيارة على باب الحرم حيث مئات البشر تجد متعتها في هذا المكان، أبواب فخمة فاخرة.

لقد أخذنا مكاننا أولاً في فندق بهاء الدين قبالة المسجد النبوي، كنت أتمنى أن أنزل في بيتٍ عتيق له تاريخ داخل تلك الدروب حُكي لنا عنه، بيد أنَّ عَرَج الرئيس البكاي كان يتعذر معه التنقل في تلك الدروب. لا يتوفر الفندق من حيث التكييف إلا على مروحةٍ في السقف لكنها كسول جداً وكثيراً ما تتوقف، هذا إلى أن كل غرفة تضم أربعةً من الحجاج، مع العلم أنها ـ أي الغرفة ـ لا تتجاوز نحو خمسة أمتار في خمسة، هذا إلى أن معنا في هذه الغرفة واعظ الرحلة.

في التاسعة إلا بضع دقائق بالتوقيت المحلي أذَّن المؤذن الثاني لصلاة الصبح، وقد أذن قبل هذا بقليل رئيس الأذان معلناً افتتاح الحرم الشريف، خرجنا لصلاة الصبح، كانت البقعة التي جلسنا فيها أمام القبر النبوي هي الدكة، جلسنا بجانب رئيس الأغوات السيد إسحاق، كانت لحظاتٍ طاهرةً وظاهرةٍ أيضاً، آلاف البشر من كل حدب وصوب، شتى الألوان، مختلف الشعارات، تمر بجانب القبر للتملي من المزار، و"المراوح" تشتغل فوق رؤوس المصلين، لقد كتبت على أجنحتها الثلاثة "وقف الحرم النبوي الشريف".

لقد آثرنا هؤلاء الأغوات بهذه القعدة في هذا المكان بالذات، ناس طوال سود حُصر، يلبسون المناصير البيض، ويتمنطقون بحزامات ملونة واسعة، وفيهم من يحمل أخاديد على وجهه، وبعد أداء الفريضة صحبنا المزور السيد أحمد حواله حيث سلمنا على النبي وأبي بكر وعمر، ثم "البقعة الطاهرة" التي يعتقد أن الوحي كان ينزل فيها على الرسول. أخذت معالم النهار تلوح في الأفق، لقد انتصب في كل ركن واعظ أو مرشد، حديث عن "أخبث الناس رجل شحيح"، وحديث آخر حول تفسير ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [سورة الأعراف، آية ١٧٢]، وثالث حول "إنما الأعمال بالنيات..". وقد كان ما بين القبر والمنبر مكاناً يتنافس على الصلاة فيه المتنافسون أليس روضة من رياض الجنة؟. الحمام مطمئن يتنقل ذاتَ اليمين وذات اليسار في الصحن الذي فرش جانب منه بالرمل، النساء هنا كثير، وجلهن يتلفع في عبايات سود، بيد أن فيهن من يرتدين البياض، كلّ جهة وتقاليدها.



لقد عدنا إلى النوم لكننا فعلاً لم ننم، إن الضيق والحر كلاهما يمنع الراحة، خير الفطور هناك الفواكه واليوكورت.

صلات المغرب لضعاف الحرمين

أخذنا نتعاون في توزيع الصِّلات على الذين اعتادوا أن يأخذوها كل عام من المغرب، فهذا شيخ السقائين وهذا شيخ المؤذنين إلخ. كنت أشاهد بعض العجائز المغربيات وقد أصبحن حجازيات، كنا نعرض عليهن العودة لبلادهن فكنّ يخفن من هذا العرض ويعتبرنه عقاباً، إنهن اعتدن الحياة هنا، لست أدري هل كنا نحن على حق في محاولة إزاحتهن عن فكرتهن أم أنهن المحقات ؟؟. لقد كنا نسمع من كثير من المجاورين هناك أنهم لا يستطيعون تحمل الأخبار التي تقول : إن الحكومة هنا ستضطر لترحيلهم لبلادهم نظراً لما يسببه هذا الجوار المستمر من متاعب للمسؤولين من البلاد. إن المجاورين يدركون أن المآل الموت، وخير لمن هذا مآله أن يختار لنفسه من الآن أين يأوي ؟ وهل هناك أفضل من جوار الرسول ؟! بمثل هذه الكلمات كنا نجابه كلما اقترحنا على مجاورٍ أن يعود.

كانت أوقاتنا موزعة بين البيت والمسجد، إن كثيراً من الأصدقاء والرفاق حملونا أمانة الدعاء لهم في هذه المواقف.

كنا نجمع في المسجد بين العبادة والدردشة أحياناً ! إن الناس لا شرقيون ولا غربيون، لقد سألني أحدهم من أين أنا ؟ فقلت : من المغرب، فقال إيه المغرب ؟ بلد محمد الخامس ؟ فقلت:

نعم، فأخذ يكيل الثناء على العاهل بكلماتٍ كنت في الواقع لا أتبينها فقلت : ومن أين سيادتك ؟ قال : من كابل... أفغانستان.

وقد قمنا بزيارةٍ لدروب المدينة ومنعرجاتها، وبهذه المناسبة دخلنا داراً كان يقال إن الشيخ محمد بن جعفر الكتاني ـ رحمه الله ـ ألف بعض كتبه بها، ويحكون عن ماضي هذا البيت القديم ما يحبب في المقام به، وهذا هو البيت الذي كنا نمني النفس بسكناه في هذه الفترة من العبادة لولا تعب الأخ البكاي. إن بيوت المدينة ولو أن بعضها غير مكيف لكن تصميم بنائها هو نفسه تكييف. فوق حلقة البيت هذا قلاع على شطرين تتصل بحبال في سفلي البيت، تحرك فتجعل القلاعَ تتحرك ذات اليمين وذات اليسار، كان هذا يذكّرني فيما سماه الأدباء "الطنبلنب" الذي حفظناه في بعض الأشعار، إن الجو هنا يدعو للحديث عن المكيفات بالرغم من إيماننا التام بقول الحديث : من صَبَر على لأوائها دخل الجنة.

العنز عيش أهل المدينة، ولحفظ ألبانها لا بد أن يجعلوا على ضرعها ظرفاً من ثوب يحميها من الذين يريدون احتلابها، وهي هنا تجوب هذه الأزقة.

إن كل ما في المدينة بسيط، ولكنه مهيب ورائع، وكما كان يحدث في الصباح فإن الوعاظ بعد صلاة العشاء ينتشرون على المنابر والكراسي، وفي المستمعين من ينثرهم ببعض الريالات السعودية.

الله يعطيك حجة

إن الإغراق في هذه التطوافات كانت ـ إلى جانب الحرّ ـ تنال من الحجاج، ولذلك فإن فيهم المستلقي هنا والمستريح هناك ذكرتُ صغيري أوس الذي كان يدعو لي كلما ترجاني أن أقضي له غرضاً، يدعو لي بقوله : الله يعطيك هدة يريد أن يقول "حجة" ولكن لسانه ـ وهو صغير ـ كان يُحرف الحاء والجيم هاءً ودالاً، فتصير الحجة هدة، والهدة في عرف المغاربة "الإرهاقة" ، فكنت كلما شعرت بإعياء قلت: إن " الحجة لا بد معها من هدة" ، والمغاربة اعتادوا على أن يتوسلوا لك بهذا الدعاء : الله يعطيك حجة هبْني كذا وكذا.

إن السعوديين بذلوا ويبذلون في الحرمين ما يستحقون معه ألف ثناء، ومع هذا لا ننسى بحالٍ ما قام به الأتراك كذلك في هذه البقاع قبل هذا الوقت.

نموذج حصةٍ بمواقيت الصلاة

وكأحد الذين يهتمون بالتوقيت فقد حرصت على معرفة حصةٍ ناطقة لمواقيت الصلاة، قوم حسابها سنة ١٣٥٧م من تقويم المؤقتين : محمد ظهور الله ابن نانا ومحمد صبغة الله مغفور المدارسي، فكانت على الشكل التالي، وهو ما يؤكد ما أسلفناه عن الظاهرةِ التي اعترضتني وأنا أعرف في جدة أن الثانية عشرة تعني الغروب!

أذان الجمعة	٥/ ٢٦
صلاة الصبح	٨/ ٥
الأذان الأول	٥/ ٨
الظهر	٥/ ٢٨
العصر	٨/ ٥٥
المغرب	١٢/ ٠٠
العشاء	١/ ٣٠
سحور الأذان الأول	٧/ ٤٠
أذان الإمساك	٨/ ٥٤
طلوع الشمس	١٠/ ٢٠

هل سنزور داخل الروضة ؟

وبصفتنا وفدًا رسميًا طمعنا في أن نجرب حظنا في التماس الدخول إلى قلب الروضة الشريفة، وقد اقترحنا ذلك على سمو الأمير حاكم المدينة عند قيامنا بزيارته يوم الأحد ٠٧/ ٠٦/ ١٩٥٩م، وانتظرنا الإبراق إلى مكة حيث سمو الأمير فيصل ولي العهد.

ومرةً أخرى أعتذر لكم عن كتابة التاريخ بالميلادي في أرض الهجرة ؛ لأن يوم الأحد هذا يحمل في يوميتي المغربية تاريخ ٢٩ ذي القعدة، بينما لا ندري ـ بالرغم من محاولاتنا ذلك ـ ماذا يحمله هنا، فإن نتيجة الرصد لم تعلن بعد، إن الشهر يتقدم هذه المرة بيومين!!.

المزارات الأخرى ١٩٥٩/٠٦/٠٨م

وكان ينتظرنا بعد هذا أن نقوم بزيارة للأماكن الأخرى، إن الآكام تحيط بالمدينة من كل جانب، وفي كل مكان زرناه نجد عدداً لا يحصى من المستجدين والمستجدات الذين وردوا إلى هذه البلاد من خارج، " من العوَّاد يا حاج من العوَّاد يا حاج". بمثل هذه الكلمات يتوسلن إليك.

زُرنا مسجد السبق حيث كان يصلي أبناء الصحابة المتدربون على ركوب الخيل، ثم مسجد الراية، ثم جبل أُحد الذي "يحبنا ونحبه"، ومقبرة شهداء أحد "السلام عليكم يا شهداء، يا سعداء يا نجباء يا أصفياء... ". نعم هذا جبل أُحد، أحد جبال الجنة "اللهم اجعله شاهداً لنا ولا تجعله شاهداً علينا". إن المتسولين هنا كثير، ومنظرهم بحق مُحرج، لقد أخذت أتساءل : هل على الحكومة هنا وحدها أن تقوم بهذا العبء، أم أن هذا عبء الدول الإسلامية كلها تلقي به هنا ؟ وأن عليها جميعاً أن تنال منه قسطها؟

وفيما رأيته يباع هنا في أحد " حليب العقر "[٢] تشتريه بعض النساء العاقرات أملاً في الولادة، فما هو ؟ إنه حليب التين تدهن به النساء، لقد كنت أعرف أن هذا الحليب أشبه شيء ـ في وقعه ـ بالنار المحرقة فكيف يصبح الأذى دواء ؟!.

(٢) يلجأ بعض الباعة إلى تسمية بضائعهم بما يغري بشرائها، وما رآه المؤلف من الحالات لا تخلو منها المجتمعات، ولكنها حالات فردية، ومع تقدم الطب أصبح بالإمكان علاج كثير من حالات العقم ـ بفضل من الله ـ ثم بواسطة الإمكانات العلمية.

وبعد هذا إلى الخندق، ووادي العقيق، هنا بعض القصور الملكية وبعض دور السفراء، ثم مسجد القبلتين، قبلة تجاه الباب مباشرة، وقبلة عن يسار الداخل من هذا الباب، الصلاة حيث موقع جبهة الرسول الأكرم، لقد ذكَّرونا دروسنا عن القبلة "اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة وهذا الجهد وعليك التكلان". إن المتسولين هنا كثير، ولم يكن يكفي معهم "سلفات دورو"، وكثيراً ما كان المتصدقون يرمون بالدراهم في وسط السعاة فيهوى هؤلاء على النقود يلتقطونها كما يلتقط الطير الحبّ، وكثيراً ما تقززنا ونحن نسمع صوت السوط ينزل على هؤلاء المستجدين وهم يلحون على الحجاج!.

إن ضيق الوقت كان يحول دون الاتصال بالمشايخ والعلماء الذين يستطيعون تقديم هذه الأماكن أتقن وأصدق، وبعد مسجد القبلتين المساجد الستة أبو بكر ـ سلمان الفارسي، مسجد الفتح، مسجد عمر، مسجد علي، وفاطمة الزهراء، الزيارة دائماً وقوفاً وفي تتابع، الضعاف منا وخاصة الحريم الذين يصحبون الركب من القصر الملكي لا يفتؤون يطلبون البارد، القنينة من (الكولا) هنا بـ ٧٥ فرنكاً مغربياً، هي في المغرب فقط بنحو ١٥ فرنكاً! نعم وبعد هذا مساجد أخرى مسجد الغمامة، مسجد قباء المكان الذي استقبل فيه الرسول بنات النَّجار(٣). إن المزورين يصرون على أن

(٣) ذكر ابن حجر في فتح الباري ١٥/ ١٢٠ أن جواري من بني النجار خرجن يضربن الدُّفوف حين حل الرسول بديارهم. انظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: دراسة تحليلية، للدكتور مهدي رزق أحمد ص٢٨٦، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

نردد ما يرددون ولو أنه ملحون مقلوب، ولا بد أن تسمع عند كل مسجد أثراً منهم يشوقك إلى تجديد الطلب "من تطهر ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه ركعتين كان كأجر عُمرة، وبعد هذا بئر أريس" التي سقط فيها خاتم النبي، وكان يحمل منقوشاً عليه (محمد رسول الله) صار إلى عثمان، فوقع في البئر فسمي بئر الخاتم كما أسلفنا، ثم بعد هذا "بيرحاء" الذي دلونا عليه، ونحن ما نزال في جدة، أما البقيع حيث مدفن الصحابة فقد كان يحيط به سور أبيض.

ولما كان السير قد أرهقنا فقد أرجأنا زيارته لليوم الموالي، وقد وجدنا عند رجوعنا للبيت "سطلاً" من حريرة مغربية هدية من لدن السيد عبدالرحمن اللبار المغربي الأصل وأحد المزورين هنا.

وقد شاهدت ظهر يوم الإثنين ١٩٥٩/٠٦/٠٨م حلقةَ درسٍ كان المتحدث فيها بارعاً موثراً كان يحمل حملةً شعواء على المظاهر الكاذبة، يجسد في وضوح محاربة الإسلام لها، ولا يخلو كلامه من همز ولمز للحجاج أنفسهم ! يقول لهم : أنتم تزورون النبي ولكنكم بعيدون عن مبادئه كل البعد، إن الله لا ينظر إلى أمثالنا بارتياح!. حاولتُ أن أعرف من أين هو؟ فقال : إنما أنا حاج كسائر الحجاج. كان بالفعل جريئاً وصريحاً.

ومن دون تكلف أرضيتُ دعوة غداء عند رفقة الحاج المأمون، يلوح لي أن الذين كانوا يحجون أحراراً ينعمون أكثر من الذين

جُعِلَ مصيرُهم بيد أصحاب الفنادق يفرضون عليهم أكلاً معيناً وفي وقت معين.

لقد تعرفنا هنا على هؤلاء الإخوة : عبدالسلام البقالي، الحسن الغراري، محمد العمراني، محمد الفروي.

تناولنا هنا صحونًا مغربية أصيلة، لحم بلفت ولحم بطماطم، وقوق بلدي أخضر مرقد في الليمون.

إن حديث الحجاج هو البحث عما قيل حول الحج، وحول التوسل، فمِن راوٍ للكلمات التي علمها الرسول لعبدالله بن مسعود وقال له : إن نوحًا كان يقولها " اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى، وبك المستغاث، وأنت المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله "، ومِن مردد لقول الغزالي " من علامة قبول الحج أن يرجع الإنسان على حالةٍ أحسن مما كان"، ومن متلذذٍ بالشعر ذي الطاءات الست :

إذا لم تطب في طيبةٍ عند طيبٍ
به طيبةٌ طابتْ فأين تطيب ؟!

ولم ننس السيد (ابن خضراء)، لقد دعانا على " أكل " شاي ! لقد قلت " أكل " اقتداء بالتعبير الإنجليزي (eat tea)؛ لأن الشاي كان معناه كعكات وأشياء أخرى !.

وقد حضر معنا هذا الشايَ عدةُ شخصيات، كان فيها أذكر المهندس المستشار أحمد عزت والأستاذ محمد صفوت رئيس محكمة مصر، والأستاذ عبدالنور محمد الشامي مدرس، والصيدلي

إسماعيل أكبر حسين وبلعيد الملالي المغربي، وقد صحبنا في جل هذه الحركات الأستاذ السفير الحجاج (بضم الحاء) السيد محمد غازي، سميته حجاجاً بضم الحاء على نهج تسمية زكي مبارك بالدكاترة زكي مبارك إذ كان دكتوراً أكثر من مرتين !.

١٩٥٩/٠٦/٠٩م (٣ ذي الحجة)

ولا بد أن تجدنا فجر كل يوم في الروضة ننهض من فراشنا بمجرد ما نسمع النداء، وخلافاً للعادة فقد أصبح من المألوف أن نتناول الماء عند منتصف الليل وفي الصبح توالياً، طاس بعد طاس في المسجد، عشرات يطوفون بالماء في مقابلة عطايا طبعاً، إن بهاء المسجد عند استقبال الصبح جميل، وإن ترديد المصلين لكلمة " آمين " التي يقولها الإمام، لتسمع لها دوياً في كل جهات المسجد، وإن منظر المصلين وهم يهوون للسجود دفعة واحدة يخيل إليك أنك أمام أمواج تنساب، لكن المرأة هنا تبعد دائماً من الوصول لشباك الروضة !.

وبعد البقيع قصدنا مرة أخرى الدار التي كنا نمني النفس بالنزول فيها، قصدناها هذه المرة لتناول الفطور بها، إنها كانت للمرحوم السيد البدوي، وإن أهله ما يزالون إلى الآن بها، " ومن البر إكرام الرجل أهلَ ود أبيه "، وزيادة على " الطنبلنب " فهناك مراويح وضعت على جانب المخدات والوسائد، صور جلالة محمد الخامس وسمو ولي العهد، ومعهما صورة السيد أحمد البدوي، إن هذا البيت يجاور بالجدار دار والد الرسول ﷺ، كانت بيتاً

لوزيرٍ من ورزاء السلطان عبدالحميد، تناولنا رغيفاً وعسلاً أعدته الحاجة العونية.

حاكم المدينة يرد الزيارة

ولم يفت الأمير حاكم المدينة أن يرد الزيارة للوفد المغربي، وقد تم ذلك في أوتيل قصر المدينة في إحدى صالاته البديعة، لقد تحدث لنا الأمير بإسهاب عن مشاريع الحكومة هنا وفي الكعبة، كانت المشاريع بالفعل ضخمة تستحق التقدير، وتمنينا أن نرجع مرة من المرات لنراها منجزة !، إن هذا الفندق لا يحتوي فقط على المراويح، ولكن أيضاً على "الهواء السائل والهواء المكيف" ، وقد كان اختاره السيد الحاج الفاطمي ابن سليمان سفير المغرب بالعراق للمقام؛ لأنه ـ وهو صاحب ١٤ حجة يعرف الأركان والزوايا ويحتاط لاقتحامها من ذي قبل ! وفي ظروفٍ حسنة. في الفندق الذي نأوي إليه كنا نؤدي ثمناً باهظاً، هذا أيضاً إلى المصاريف غير الضرورية التي كنا في غنى عنها لو كان هناك تدبير وتنظيم وحساب !!.

عند السيد العلوي

واستجابةً لرغبة السيد العلوي الذي كان مديراً لمدرسة هناك، فقد قصدناه للغداء، وحضر عدد من المدعوين الآخرين كان فيهم القاضي المساعد للمدينة السيد عبدالمجيد، وعلى العادة جرت عدة أحاديث كان واعظ الركب يتولى فيها الفصل بما عهد فيه من

استجهالٍ للناس واستغفالهم، الأمر الذي كان يؤدي إلى الجدل، وأذكر أن الضابط المرافق للوفد كان بين الفينة والأخرى يحاول أن يُغيِّر مجرى الحديث فيردد كلمات / "لبيك اللهم لبيك اللهم إننا حاجُّون!!".

مهما يكن فقد كان غداء شهياً بذل فيه صاحبه جهداً، ولم يكتف بهذا ولكنه دعانا ـ بعد المقيل ـ لقعدةٍ في الحديقة على شفير صهريج ماء، ولقد استمر هذا الشريف يواصلنا.

سوق التمور

وبعد هذا قمنا بجولةٍ في سوق التمور وهو من أثرى الأسواق، وهنا أيضاً لا بد أن تسمع الآثار الشريفة عن التمور وأنواعها، هنا العنبري والعجوة والصفاري والشلبي وأصابع العروس، أما البرني فلا بد أن تقتنيه؛ لأن النبي قال : "خيْرُ تمركم البرني، يذهب الداء ولا داء فيه".

عشاء أميري ومفاجأة سارة !

وقد تلطف سمو الأمير فدعانا لتناول العشاء معه يوم الثلاثاء. كان قصراً بديعاً في العوالي، لكنا ـ والوقت حر ـ جلسنا خارج البيوت في الحديقة حيث فرشت الزرابي و (الكنابيات)، إن أصوات (الموطورات) متوالية هذا الليل، وهذا هو الأزيز الذي كنت سمعته أول ليلةٍ دخلت فيها المدينة، تساءلت فقيل لي: إنها موطورات لاستخراج الماء، وإن أصحابها يتعمدون أن يجعلوا

على مداخنها ما يحدث هذا الصوت حتى إذا ما أصاب (الموطور) عطبٌ شعر صاحب الحقل به فأسرع لتصليحه!.

تناولنا " أوزِي على تَمن " خروف مشوي محشو بالأرز طماطم، باذنجان، باميا (يعني ملوخيا بالمغرب) إلى آخر اللائحة.

تحدثنا ونحن على المائدة حول مشكلة (التوقيت)، وهل هناك مشروع لاتباع الساعة منهجاً منطقياً؟، ثم تحدثنا عن المياه المعدنية الموجودة جهة الظهران التي يقصدها ذوو العاهات الجلدية، وما الضوابط التي تتبعها الحكومة لتحديد مداخل الأهلة؟ وكان هذا التساؤل نظراً لما لاحظناه من وجود فرق يومين بين الحجاز والمغرب ! وكنا إلى هذا اليوم لا نعرف عن يومنا هذا الثلاثاء من ذي الحجة ما هو، هل هو الثاني أو الثالث؟، في حين كنا نعرف فيه أنه أول ذي الحجة في المغرب.

زيارة روضة الرسول ١٠/٠٦/١٩٥٩م (فاتح أو ثالث ذي الحجة)

أما المفاجأة السارة فهي أن صاحب السمو أبلغنا بأنه صدر الإذن بدخولنا إلى داخل الروضة، ولكن علينا أن ننتظر حتى يخرج سائر المصلين بعد صلاة العشاء، إنها مأثرة كبرى، أحطناها بسياجٍ سميكٍ من الكتمان؛ فإن في الناس من يضحي بأي ثمن للوصول إلى هذه البقعة الطاهرة، أذكر أن بعضاً منا أخذ يختار بعض ملابسه أو سجادته ليصحبها معه إلى داخل الروضة من أجل "التزوير"، وفيهم من كان يقصد "تزوير" أكفانه.

لقد حضر الأمير بنفسه ليكون دليلنا إلى بيت الرسول ﷺ.

وبينما كنت أتلو القسم رقم ٢٠ من مصحفي: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة السجدة آية ١٧] إذا بالأمير يدخل ونتجه بصحبته في صمتٍ تام.

لقد شعرنا ونحن نقترب إلى المسجد النبوي، وحوالينا هؤلاء الأغوات بزيهم الخاص كأنما نقبل على زيارة لأحد العظماء من الأحياء، لقد سمعنا أصواتاً من الأغوات كأنما هم في حالة استئذان لدخول الروضة ! وفُتحت الأبواب باب القبر، وسمعنا، ولم أدر من منا نطق: "السلام عليك يا صاحب المقام المحمود"، كلّنا بين باكٍ وواجمٍ وشاهقٍ كذلك، وقفنا لحظات أمام الأجداث الثلاثة محمد وصاحبيه، الحراسة تتشدد حتى لا يقتطع أحد الزوار جانباً من ستار، أو يحمل بعضاً من أثاث رغبةً في التبرك !. فعلاً كان التأثر عظيماً وكنا ـ أو كنت على الأقل ـ لا نستطيع أن نفتح عيوننا كثيراً أمام هذه الثلة التي دوَّى صيتها في الآفاق، إن المقام كان رهيباً ومهيباً بحق.

لقد حملت معي ما كان لا يفارقني مصحفي الذي قسمته ثلاثين جزءاً يساعدني المضي فيها على حساب أيام الشهور وسجادتي. بَيْدَ أن قلمي الأول ـ ووصول الأمير كان فجأة ـ نسيتُه عند السارية التي كنت أتلو فيها القسم العشرين. مررنا بين مكان أهل الصفة دكة الأغوات وبين الشباك النبوي، ثم رجعنا عن اليمين حيث فتح الباب، إن هؤلاء السدنة بمظاهرهم التي سلف أن تحدثت عنها

وبهيبتهم وأصواتهم يُضفون على الزيارة مسحةً رهيبة، كنا ـ كما سبق أن قلت ـ كأننا بين يدي عظيم يتبوأ كرسياً حاضراً، دخلنا من هذا الباب الخاص وبمجرد ما عرجنا على الركن الأول وجدنا عن اليسار محراباً صغيراً كتب في وسطه : (محمد نبيّي)، ومن هذا الركن إلى الركن الثاني حيث أسلمنا هذا إلى الركن الثالث، وهنا وقف الأمير ليقدم لنا ضريح رسول الله ! لقد كتب على ستاره المذهب هذه العبارة: "هذا قبرك يا رسول الله" . وبعد الدعاء والتضرع تحولنا قليلاً إلى قبر أبي بكر الصديق حيث دعونا كذلك ثم ضريح الفاروق، وبعد هذا التفت الأمير ليقدم لنا جهة "مهبط الوحي" ، وكان الدعاء وكان البكاء أيضاً، ولم نشعر إلا ونحن عائدون من نفس الطريق وعلى نفس الترتيب، وأذكر أن بعض الحضور ممن "تنسّموا" خبر هذه المأثرة، و"اندمجوا" معنا، حاول هذا البعض أن يقتطع لنفسه من بعض الخيوط التي تنزل من الستائر لكن الأغوات كانوا له بالمرصاد !.

لقد وجدت ـ بالرغم من أن قلمي الأول قد نسي ـ قلماً احتياطيًا فكتبت بعض التذكارات هنا، وقدمت بعض الصور لبعض الأحباب.

لم ندر كيف مرت هذه اللحظات العِذاب، وقد جلسنا بباب الفندق بعدها نتلذذ ببهائها، ويحكي كل عن مشاعره وإحساساته.

الأربعاء ١٠/٠٦/١٩٥٩م إرهاق وإعياء

لم أشعر كلَّ تلك الأيام الماضية بما كان يهددني من تعب، النوم قليل، والشهية نادرة، والحر شديد، والسير متواصل، والتأثيرات نافذة، وكان مسك الختام تلك الليلة.

وقفت صباحاً أمام المرآة، فما راعني إلا ملامحي التي تغيرت تغيراً ما رأيته في حياتي !، فعلاً فزعت، أجفان غائرة وعيون ذابلة، ولون شاحب، لم أستطع أن أقف طويلاً، ورجعت للفراش، أشعر بأنني أسير شيئاً فشيئاً إلى الخمود!.

لقد جمعت أغراضي مستعداً لما يطرأ !! كنت اشتريت بعض السجاد فجمعتها هي الأخرى، وأخذت أفكر في استعجال الرحيل، لقد ذكرت كثيراً دعاء طفلي أوس: "الله يعطيك هدة"!!، لكن هل الأمر لا يتجاوز "هدة" عابرة..؟! شعرت بانهيار كامل شامل، وأخذت أفكاري تتجه نحو أطفالي "الخمسة" ووالدتي وأهلي، لقد طلبتُ إلى الضابط (سالم البار) مرافقنا الخاص أن يسعى لي في الحصول على مقعدٍ في الطائرة إلى جدة، لكن الأمر كان صعباً، وقد ناديت على رفيقنا الدكتور الخطيب، وكان لزاماً أن يزودني ببعض الحقن "المطلعة" المنعشة، أخذت بعد حين أشعر ـ وببطء ـ بدبيب من الحرارة ينساب في شراييني، فكتبت لبعض الأقرباء والأصدقاء، ولم أستطع أن ألتحق بالمسجد لصلاة الظهر والعصر، ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ. . . ﴾

[سورة الأنبياء، آية ٨٩]، كذا كنت أدعو في حين أخذ السيد بلعيد بن زائد يساعدني على تلفيف متاعي.

إلى آبار علي

لقد كان علينا أن نُحرم في آخر هذا اليوم الأربعاء ١٠ يونيه كنت "مهدوداً" فعلاً، ولم يكن هناك من يفكر في غير ذاته ونفسه!!، وقد زاد في خفقان قلبي هذه الاستعدادات من الناس للباس الإحرام، كنت شعرتُ بمثل هذا الخفقان فقط ليلة نادوا علي للدخول على الثريا أول مرة !!.

الحمامات في الفندق تختنق مسالكها بالماء، وخُصَل الشَّعْر شعر الذين يستحمون ويتطهرون، ويتسابق كلٌّ إلى مقعده المناسب في العربات، ودَّعتُ المدينة بصلاة المغرب في المسجد النبوي، وتحركت السيارات على مقربة من باب النساء، وصحبنا سمو أمير المدينة مع ضابط خاص إلى آبار علي بالإضافة إلى مدير شرطة المدينة، إنها (٤٢٠) كم لجدة، فاللهم رفقاً بعبدك الغلبان التعبان. وقد وصلنا إلى آبار علي بعد قليل، وعن يمين الخارج من المدينة المحرمون من خلال الأضواء الضعيفة ذات اليمين وذات اليسار، حاولت أن أقرأ ما كتب فوق محراب المسجد على رخامة لكن ضعف الضوء من جهة وزحمة الوقت من ناحيةٍ وإعيائي من ناحية ثالثة صرفني عن ذلك. إن المسجد مفروش بزرابي فارسية، لقد كان منظر الحجيج في هذا الليل وهم يغتسلون ويرتدون لباس

الإحرام، ويضرعون منظراً مؤثراً حقيقة، لقد أدينا صلاة العشاء هنا، وانطلقنا نلبي النداء.

"لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد النعمة لك والملك، لا شريك لك".

وما تخلو مثل هذه الأسفار من أشياء فلا بد أن يتأخر هذا عن ذلك، أو ينسى هذا أغراضه. وأذكر أن الأخ محمد زنيبر نسي هنا نظارته عند الوضوء، فأمسى شبه كفيفٍ يحتاج إلى مساعد.

في جـدة

وصلنا بدراً، وتَهُولُك رؤية هذه العشرات من الشاحنات و (الكاميونات) التي حشرت حشراً بالواردين، والكل في لباس أبيض، وفيهم المئات مستقلين على الرمال يستريحون من عناء السير الطويل، ويستعدون للمسيرة الموالية، وفي الواحدة ليلاً بتوقيتنا عطبت عجلة السيارة التي كنت أحد راكبيها، وتوقف الموكب بعض الوقت، وما أزال أذكر الراحة التي وجدتها وأنا أستلقي على الرمال، ولم أشعر أبداً بمن كان ينصحني ألاّ أفعل اتقاء للهوام المتلبدة.

لقد أخذنا نقترب من جدة. هذا هو الغلس، على كل طريق حرس يفتش السواق، إن من غير المسموح به أن يشتغلوا بعد منتصف الليل؛ لأن الوقت وقت راحة، اللهم إذا كانت هناك "استثناءات".

لقد وصلنا إلى فناء بيت السفير في الثانية وعشر دقائق بتوقيت (جرينتش) بعد ثمان ساعات وعشر دقائق، الموكب يتألف من ثمان سيارات كما قلنا، وقد ودعنا البيت بعد قليل إلى فندق قصر الكندرة الجميل، الغرفة رقم ١١٥. الجديد الذي يميز الغرفة عن بقية الغرف التي زرتها في فنادق أوربا هذا الهدير الذي يحاكي مرجلاً يغلي، إنه ـ مع ذلك ـ الصوت الموسيقي صوت (الإيركونديشين)، إن الشيء الذي كان ينقصني هو قلة النوم، وهكذا فبعد (يوكورت) غبت إلى ما بعد الظهر وكأنني صريع!، ولم يوقظني إلا الدكتور الخطيب الذي ورد ـ مشكوراً ـ ليجس النبض، إن كل ما أرتديه فوطتان وحزام ونعل، ثم ساعتي ومذكرتي وقلمي.

فعلاً إن التجربة دلتنا على أننا نخطئ الحساب في حمل بعض الأشياء من المغرب البعيد، إن المهم هنا عوض الحزام العتيق صاحب الجيوب هو شكارة محمولة، المظلات هنا بكثرة، النعال المصحوبة من المغرب تضر أكثر مما تنفع فإن هنا نعالاً خفيفة ولطيفة "وعلى المقاس". لقد كنا نحمل ـ من جراء هذا الحر ـ أعباء كان بعضها مبالغاً فيه كما يُخيل إلي، فإن الأوربيين يتجولون هنا بلباسهم العادي، وكأنما هم يتجولون في أحد مناطقهم العادية!.

كنت في كل أسفاري أستطيع ـ كما يستطيع رفاقي طبعاً بالنسبة إلي ـ أن آخذ انطباعاً ربما يكون صادقاً عن سلوك الناس، وكنت

كثيراً ما أذكر تعريفات بعض رجال علم الأصول لمدلول (الصحابي) صحابي الرسول، في الناس من عرَّفه بأنه من خالط الرسول مدة سنة، وفيهم من حدده بأنه الذي خالطه في سفر، وقد رجح هذا الرأي بعض الناس باعتبار أن السفر كاشف واصف، وقد كنت في كل سفرة أكتسب اقتناعاً أكثر بهذه النظرية، لقد كتبت أمام كل رفيق منَّا كلمة ذكرى عنه احتفظت بها لنفسي!!.

لقد رجعنا إلى النوم بعد الغداء، وأخذت أَشعر بأنني قد استرجعت بعض نشاطي بعد هذه "الاستجمامة" التي كانت ضرورية، إن أثمان الفندق أخذت تلوح وكأنها ـ على غلائها ـ أرقام مقبولة، بل محبوبة ! فإنه ـ أي الفندق ـ مكيَّف بسائر دروبه ومصاعده، وإنك لتعرف الفرق بين الفندق وخارج الفندق عندما تحاول أن تقتحم أبواب الخروج، فهنا تشعر بالفيح يشوي الوجوه. ! كأننا كنا في حمَّامٍ على أرض هذا (البالكون)، وقد صادف مع هذا الحر ظهور أسرابٍ من الجراد، كانت "أشجار" هذا الفندق هدفاً لحملاتها الضارية، والأشجار هنا أعز من بيض الأنوق !! لقد كان هذا الجو "يضغط" علينا للالتحاق بغرفنا، وهكذا استسلمنا لنومةٍ أخرى، بعد أن أدينا فروضنا.

وقد حضر الأخ ابن خْرَبة من السفارة فسأله أحدنا عن واعظ الرحلة أين قضى ليلته؟ هل معنا في هذا الفندق أم في جهة أخرى؟ فلاحظ عبد النبي أنه لم يمر ليل، وإنما هو النّهار قضيناه نحن في بيتنا المظلل بالستائر المتعددة والوثيرة والدكناء فحسبناه

ليلاً !! ثم ذكر أن الواعظ "تغالى" هذا الفندق، ولذلك فقد قضى ليلته النهارية أو نهاره الليلي على مقعدٍ بصالونٍ ببيت السفير!.

كان هذا اليوم ١١ يونيه بالنسبة إلينا راحة كاملة، وأذكر أننا تلقينا في هذا اليوم فقط إشعاراً بأن شهر ذي الحجة أهلَّ مساء السبت يوم ٣٠ ذي القعدة الموافق لسادس يونيه فكان الفاتح من ذي الحجة هو يوم الأحد الذي يصادف ٧ يونيه.

فإلى مكــة

وقد غادرنا جدة بعد صلاة العشاء بعد أن زودنا السيارات ببعض "الجالونات" من البنزين، وقفنا قليلاً عند الطريق في مراكز التفتيش من أجل التحقيق في الجوازات، رقابة بين الفينة والأخرى، وفي القاصدين كثير من الراجلين.

(لبيَّك اللهم لبيك) هذا هو الشعار، نستريح قليلاً لنعود إليه في خضوع واستسلام. ولعجائز النساء نسبة مهمّة بين الحجاج. ولشد ما كنا نستغرب رؤيتهن وهن يولعن السجائر ! لقد قيل لي "إن العروس لا بد أن يكون ضمن ما تحضره في جهازها لزوجها إلى الآن الركيلة " "Pipe Water".

في بئر طـوى

إن البئر يصعد إلى شفيره بدرج، وعمقه حسب التقدير نحو من أربعين متراً، ولقد أنشئت في زوايا القبة المضروبة على البئر أزر لستر الحجاج بعضهم عن بعض عند إرادة الغسل، بينما وقف على



الجوانب رجال يخرجون الماء بالدلاء ويصبونه على المغتسلين من وراء الستر ! وفي الناس من يكتفي بدلو، لكن فيهم من يتطلب دلوين، وفي الحجاج من يكتفي بالوضوء، ولقد دخل الحريم بدورهنّ للقيام بهذه الشعيرة.

لقد استرحنا في قهوة بجانب البئر صففت بعدد من "الشبريات" والمقاعد المختلفة الأحجام، ثم قصدنا مكة المكرمة، لقد شعرنا بقشعريرة كلما اقتربنا من هذه البقاع الطاهرة، واسترسلت تلبياتنا ودعاؤنا ـ وقد وصلنا إلى الرباط المغربي لقد كتب على جانب من الباب ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [سورة النحل، آية ٥٣] بينما كتب على الجانب الآخر ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [سورة إبراهيم، آية ٧].

إن هذه الدار عبارة عن عدة غرف، خصص بعضها للبعثة الطبية، وبعضها لحجاج وردوا من الجزائر، والبعض لآخرين وردوا من تونس، كان نصيبنا نحن بيتاً في الطبقة العليا من الرباط.

بعد استراحةٍ قليلة، أسرعنا إلى زيارة بيت الله الحرام، دخلنا من باب السلام بعد أن جمعنا نعالنا في كيس، وقد مررنا على الملتزم، وهنا بدأنا بالدعاء، ووصلنا إلى ركن الحجر الأسود، ومن هنا أخذنا طريقنا في طواف القدوم جاعلين الكعبة على يسارنا، سبعة أشواط، صلينا بعدها ركعتين في مقام إبراهيم، ثم قصدنا بئر زمزم حيث جرعنا منه، ولكثرة ما رحَّب بنا سدنة البئر سلطوا علينا أنبوباً فأغرقنا في لباس إحرامنا! تلك عاداتهم عندما يرضون على حاج من الحجاج. ومن زمزم قصدنا باب الصفا بعد

أن قضينا في الطواف ساعة إلا عشر دقائق. قد سقفت المسافة (٣٧٤ متراً) بين الصفا والمروة، هما في الواقع أكمتان من صخر أحتفظ بهما إلى الآن مع هذا الإصلاح الجديد الجاري، مشهد عظيم، كل طائفةٍ مع مطوفها، وفي الناس من يحمل بيده كتاباً يقرأ الأدعية والأوراد، وفيهم من يحمل أطفالاً صغاراً على أكتافه، وفي وسط المسافة علامتان بلون أخضر تشيران للخبب وللإسراع، هذان المكانان هما المأزمان، الغُبَار يتطاير، والأصوات واللغات مختلفة، لقد قضينا خمسين دقيقة في الأشواط السبعة، لقد أكبرت هذه الأعمال الجارية هنا من أجل توسعة الحرم، إنه المقاول "ابن لادن" سالف الذكر الذي تحدثوا لي عنه ونحن في طريقنا إلى المدينة.

وعند انتهاء السعي بين الصفا والمروة، لا بد أن ترى وتسمع طائفةً من الناس وبيدهم مقصات تلمع، وهم يقولون "فكَّ إحرامك"، يقصدون أن تدعهم يقصون من شعرك أيها الحاج أو المعتمر في مقابلة "بقشيش" طبعاً، وبَسْط اليد في السفر موصى به على ما تضمنته الرسالة الملكية الموجهة إلى الحجاج !.

وما أن استرحنا قليلاً بعد رجوعنا إلى الرباط، رباط المغاربة، حتى هببنا من نومنا على أصداء نداءات الفجر، إنها فعلاً أصوات تتعالى جميلة من هنا وهناك، فتنسي بعض الناس أنانيتهم وجبروتهم، إن هذه المراويح الكهربائية هنا رحمة بالناس، ولا شك أن أجر المتفضلين بها أعظم وأكرم ! وبعد الصلاة مباشرة

شرع الناس في الطواف، إنها دوامة لا تنتهي، لا يقع بصرك أبداً على فراغ في أرض الطواف، وقد رجعنا بعد الصلاة إلى الرباط، إن الحجاج ينتشرون على الشارع هنا وهناك، يغتنمون لطف الغلس ليقضوا بعض الدقائق نياماً، وقد تقع الأبصار في مدخل الرباط على نائماتٍ بجانب نائمين، وربما على وضع غير لائق ولكن انصراف الناس في هذا المقام عن المُروق، حصَّنهم من الرفث والفسوق ! وجعل من أولئك ناساً لا يأبهون!.

الجمعة ٦/ ١٢ / ١٣٧٨هـ (١٢/ ٦ / ١٩٥٩م)

وصباح هذا اليوم زارنا عالم صيني الشيخ أحمد حسن يتكلم عن الإندونيسيين المقيمين في مكة، لقد سمعناه يتحدث في إسْهاب عن حزب (مشوفي) المجلس الأعلى للمسلمين الأندونيسيين، (٩٦) مليوناً من المسلمين في أندونيسيا. قال: إن للحزب تمثيلاً قوياً في البرلمان، وإن رئيسه محمد ناصر تلقى دراسته العصرية في ألمانيا والدينية في أندونيسيا.

ويمر الوقت بالنسبة للوفد في استقبال الدعاة، وكذا الذين حلت بهم بعض المشكلات، وقد زارنا هذا الصباح أيضاً حاج مغربي ذو لسان ولكنه أبكم لا ينطق، ضاعت منه كل أغراضه، فهو في حيرة ما عليها من مزيد، وهذه تشكو : لقد تاه زوجها في الزحام !، وقد زاد في انشغالنا ضياع مولى من الموالي الذين يخدمون الملك، كان قد صحبنا في الحج، ضاع في خضم هذا البشر بين الكعبة ورباط المغاربة.

ويوم الجمعة هنا عظيم، بالرغم من وصولنا باكراً إلى الحرم فإننا لم نجد قيد شبر لنجلس فيه، ومع ذلك فقد جلسنا على باب زمزم قريباً من الماء، وهذه نعمة جلى، لقد عرض علينا الملازم المغربي (فؤاد العلج) بعضاً من فراغ قليل بجانبه، لكنا وجدنا في هذه (الأودة) أو هذا القوس ما أرضى رغبتنا، أزيار من ماء تملأ بالليل لتوزع بالنهار.

نسمع باستمرار عن صفارات سيارات الإسعاف لمن ساعدهم الحظ بالإسعاف، ونسمع عمن أسلموا الروح لخالقها، وفي الحكايات ما يبالغ فيه، لكن الإصابات كثيرة، الحر شديد، وجل القاصدين للحج كهول أو شيوخ.

ورفع الآذان في التاسعة والنصف بتوقيتنا.

لقد كان فيما قاله الخطيب : "إن شرط العمل الصالح أن يكون خالصاً لوجه الله، وركز حديثه على "الإخلاص" الذي هو أساس كل نجاح، ومن هنا تخلص لحديث شريف عن وصف حج الرسول في بساطته : "خرج إلى منى ثامن ذي الحجة وأقام بها سحابة اليوم ثم قصد عرفة، ثم أفاض إلى منى، فرمى جمرة العقبة، ثم نحر وحلق رأسه، ثم طاف طواف الإفاضة" الحديث، وقد أكد في الخطبة الثانية على تركيز الحج كله في (عرفة)، وكأنه كان يريد التخفيف على الذين يدهشون، وقد كان فيما قال : "خيْر دينكم أيسره" وربما أشار إلى أن الحج هنا منتهاه، وكأنه يلوح إلى أن زيارة الضريح النبوي لا تدخل مطلقاً ضمن الشعائر المطلوبة،

وقد دعا في الأخير للإسلام والمسلمين كما دعا على الصهيونيين وأعوانهم.

وبعد الصلاة بسورتي (الكافرون) و (الإخلاص) أقبل الناس يصافح بعضهم بعضًا وهم يقولون "عودان يا حاج ! عودان" !.

كان خروجنا خطيراً جداً، فإن هذه الأمواج، وهذه الأنفاس كذلك تكاد تطبق بعضها على بعض، والضعيف والطفل والشيخ هنا لا بد أن يغلب على أمره، وبينما نحن في هذه "الزحمات" وإذا بصفارات البوليس تتوالى طالبة الطريق، لقد كان الملك سعود راجعاً من أداء الفريضة، ما أدري أين ذهب هؤلاء الذين كانوا يكتظون، كان اليوم عسيراً، (٤٠) درجة في هذا الرباط الذي نسكنه بالرغم من الستائر، والنوافذ والمشْرَبيات، لقد كنا نجد في الدكتور مولاي أحمد العراقي مثال النجدة بما كان يسعفنا به من منعشات مادية ومعنوية كذلك.

كان غداؤنا متنوعاً ولكن الشيء الذي لم يكن متوفراً لدينا هو القابلية، اللهم باستثناء الرغبة في "البارد" ، إن الحر أصبح لا تكفي معه مروحة لكل غرفة ولكن مروحة محمولة لكل شخص !.

لقد كان "رباطنا" على طريق أحد مراكز الإسعاف، ولذلك فما تفتأ السيارات بصفاراتها المدوية غادية رائحة، وتحاول أن تنام لكن الحر والوسائد التي كانت أقرب إلى الأخشاب منها إلى المخدات كلّ ذلك يمنع المنام.

عند صاحب الجلالة

ومساء الجمعة هذا سادس ذي الحجة ١٣٧٨هـ / ١٢ يونيه ١٩٥٩م كنا "معزومين" لدى جلالة الملك سعود. المفروض هو: لباس الإحرام، أخذنا طريقنا، وكنا في حاجةٍ إلى ترفيه إلى هواء، صعدنا درج الردهة المخصصة لمئات الموعودين، صالون فخم طويل عريض، وقد بث كله بالزرابي، قدمت لنا القهوة العربية أولاً، الخدم في لباسهم الخاص، وبعد تجمع المدعوين طلع علينا العاهل حوالي السادسة بتوقيت الرباط، بعد بضع دقائق في التصوير والسلام عليه من لدن السادة السفراء ورؤساء الوفود، خطاب الملك يتلوه الشيخ يوسف ياسين تلميذ الشيخ رشيد رضا، وقد ندد هذا الخطاب بالاستعمار الذي قال عنه : "حبائك الاستعمار كحبائك الشيطان إنه ـ أي الاستعمار ـ بعد أن عجز عن تحطيم الإسلام عمد إلى التفريق بين دول الإسلام، وحمل على إسرائيل وحلفائها الذين يساندون موقفها ضد الفلسطينيين الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق، وتناول معاناة الشعب الجزائري الذي ما انفك يدافع عن استقلاله، وبعد الحديث عن موقف الدبلوماسية السعودية من فرنسا في عدوانها على مصر عاد ليتحدث عن الدَّين الذي على المسلمين بسائر أطراف العالم إزاء الجزيرة العربية مهد الإسلام، ويختم الخطاب برسم سياسة المملكة العربية السعودية إزاء القضايا المطروحة، ونظراً لأهمية هذا الخطاب التاريخي احتفظت بنصه الكامل على هذا النحو :

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم، وحمدُنا لك من أفضالك، ونشكرك اللهم، وشكرنا لك من نعمائك، ونصلي ونسلم على خير أنبيائك، محمد صلوات الله وسلامه عليه، أرسلته رحمةً وهدى للعالمين أما بعد:

إخواني: إنا لا نجد في موقفنا هذا، وسط هذه المشاعر، الحرم وبين الحجيج الذي اجتمع من كل صوب وفج، إلا أن نذكر قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [سورة إبراهيم آية ٣٤] فأي نعمة من نعم الله علينا - وهي لا تعد ولا تحصى - نستطيع أن نتذكرها في موقفنا هذا؟ فمن نعمائه أنه جمعنا وإياكم وإخواننا المسلمين في هذا البلد الطاهر المقدس لنشهد منافع لنا، ونذكر اسم الله، فأهلاً بكم ضيوف بيته، ومرحباً بكم إخواننا الذين تجمعنا وإياهم كلمة التوحيد.

إخواني: هذه أم القرى فيها أول بيت وَضَع أركانَه نبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأمرنا الله على لسان نبينا محمد - صلوات الله وسلامه عليه - أن نتجه إليه في صلواتنا، فأنعم بذلك نعمة، وأعظم به مجمعاً يجمع قلوبنا على دينه والتواصي بيننا بالعمل بكتابه.

إخواني: أول ما أدعو نفسي، وأدعوكم إليه هو إخلاص العبادة لله وحده، دعوة إبراهيم ودعوة النبيين من بعده، والدعوة التي جاء بها نبينا - صلوات الله وسلامه عليه - كلمة التوحيد (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) بها تميز الحق من الباطل، وبها

تميز الإيمان من الكفر، وبها ارتفعت نفوسنا من مذلة الشرك، وعلت على أن تخضع أو تذل لغير الله خالق السموات والأرض، إن الذين تذل نفوسهم بدعاء غير الله والخضوع لغير الله. بغير ما أمر الله به أولئك لا يمكن أن ترتفع نفوسهم في الدينا ولا في الآخرة، ولذلك أوصيكم ونفسي في هذا المقام الكريم، في هذه الأيام المفضلة بإخلاص العبادة لله وحده، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [سورة النساء آية ٤٨].

إخواني المسلمين ممن حضر في مجلسنا هذا ومن غاب عنا: إنه مما يحز في نفسي أن أشعر أن الإسلام بدأ يكون غريباً في مواطن كثيرة، فإذا لم ينتبه المسلمون لما يراد بهم من إفساد دينهم وعقائدهم فالخطر محيط بهم وبنا لا محالة إلا إن شاء الله، أقول هذا قول العالم بما هنالك، وبما يدس في الأقطار والمسالك من تشكيك الناس في دينهم وتزيين شياطين الإنس مبادئ اختلقوها وأسماء أسموها ما أنزل الله بها من سلطان؛ ليشككوا الناس في شريعتهم التي شرعها الله في كتابه وعلى لسان نبيه، وليظهروا للناس أن شرع الله ناقص لا يكفي لكل زمان ومكان، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ [سورة النجم آية ٢٣].

إخواني : إن حبائل الاستعمار كحبائل الشيطان وجنود الاستعمار كجنود الشيطان، إذا سد عليهم باب سلكوا باباً آخر، فإن أعيتهم قواهم عن الوصول لأغراضهم من هدم الإسلام ومبادئه

راحوا يكيدون له بأساليب وطرق تكاد تُعجز إبليس وجنوده، فإذا عجزوا عن الفساد أخذوا الوقيعة بين المسلمين والتفريق بينهم بطرق شتى، فإذا لم ينتبه المسلمون لما يراد بهم ذهبت ريحهم وضاعوا في هذه الدنيا وكانوا أضيعَ من الأيتام في مأدبة اللئام، والضر واقع بهم دنيا وآخرة، إن الله في غنى عن سائر البشر وعن سائر المخلوقات فهو الغني ونحن الفقراء، ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [سورة إبراهيم آية ٨].

إخواني : أما نحن إخوانكم الذين شرفهم الله بأن يكونوا خدام بيته، وأن يكونوا أبناء أولئك السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، فإن سياستنا في ديننا أن نحافظ على كلمة التوحيد، ونعمل على بثها في ديارنا وفي أنحاء العالم بقدر ما نستطيع، ونسهل للمسلمين أداء حجهم في أمنٍ وراحةٍ واطمئنان، وأن نتعاون مع إخواننا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ممن يريد أن يتعاون معنا على إقامة شريعة الله، ونصرة دينه محافظين في ذلك على قوميتنا العربية التي حافظ عليها آباؤنا من قبل، فنحن مع إخواننا المسلمين على استعدادٍ لعمل كل ما فيه نصرة الإسلام والمسلمين، ونحن مع إخواننا العرب عاملون على حفظ قوميتنا العربية ومبادئنا العربية ؛ لأنه إذا خلصت بلاد العرب للعرب واجتمعت كلمتهم كانوا حصناً للإسلام ومبادئه، من أجل ذلك ـ كنا ولا نزال ـ دائبين على نصرة قضايانا العربية ولن يهن لنا عزم، ولن نقف عن السير حتى نصل إلى بغيتنا ـ إن شاء الله ـ من إخراج

آخر مغتصب وعدو للعرب والمسلمين من بلاد العرب ومن بلاد المسلمين.

إخواني : كلنا نذكر، وما نسينا، ولن ننسى إخواننا من أهالي فلسطين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله وأن قوميتنا القومية العربية، وأن أرض فلسطين أرضنا وبلادنا، أُخرجوا من ديارهم بغير حق، فتكالبت عليهم سائر قوى الاستعمار من مشارق الأرض إلى مغاربها، ولم يشذ عن تلك القوى شاذ بل كانوا قطعة واحدة يؤيدون تلك العصابات الصهيونية المجرمة الآثمة حتى أخرجوا إخوتنا من ديارهم وأموالهم، وقعدوا في العراء ينظرون إلى أملاكهم وبيوتهم، ولم توجد في الضمير العالي من قوى الاستعمار روح حية تشعر بشعور الإنسانية، بل كان عطفهم على أولئك المجرمين من الصهيونية. ولم تكتف قوى الاستعمار بما مكنت لهذه العصابات الصهيونية المجرمة من تأييد جرائمهم التي تعتبر سبة في جبين الدهر، بل أخذت تتفقدهم بمعاونتهم بكل ما تستطيع من مال وسلاح وعدد عديد، وما اجتمع مؤتمر سياسي ـ وكان لتلك العصائب الصهيونية مصلحة ما ـ إلا تسابقت كبريات تلك الدول إلى مناصرتهم بكل جهد وطول، حتى أدى بهم ذلك إلى أن أخذوا يناصرونهم في قسم هو من صميم البلاد المقدسة، ذلك سعيهم لنصرتهم في إيجاد حق لهم في خليج العقبة الذي يعتبر قطعة لا تتجزأ من البلاد المقدسة، لا نذكر هذه الجرائم التي ارتكبتها وترتكبها دول الاستعمار استعظاماً وقبولاً

بالأمر الواقع، بل هو وصف لبيان تكالب الاستعمار وعمله لمقاومة الإسلام والعرب، ونحن لا يأس عندنا ولا قنوط، وإنما نذكر أمام جرائم الصهيونية ومعاونيها ما قاله الله سبحانه لعادٍ قوم هود: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [سورة فصلت آية ١٥ ـ ١٦]. من أجل ذلك فإن قوانا لن تهن، وإن عزائمنا ستظل مشحوذة حتى يتم لنا ما نريد من جمع قوتنا وجمع كلمتنا حتى يفرق الله جمعهم. فإلى إخواننا الذين يقيمون حول فلسطين نوجه نداءنا بأن يصبروا ويصابروا ويرابطوا وإن الله سينصرهم بحوله وقوته، ثم إننا نعمل مع إخوتنا العرب لنصرتهم ـ إن شاء الله ـ بعد أن يتكامل للعرب جمع كلمتهم ورأب بعض الصدوع بينهم.

وأولئك إخوتنا في الجزائر الذين ضربوا المثل الأعلى في البطولة، حيث قاتلوا هذه السنين الطوال بثباتٍ لا يعرف الكلل ولا الملل، وأذاقوا فرنسا التي تعد من أقوى دول العالم مرارة الضعة والانكسار تجاه الثبات والنضال والجهاد، وإنا نحمد الله أن تمكنا من القيام بجهد متواضع في نصرة إخواننا في الجزائر مادةً ومعنى، وستستمر مساعدتنا لهم حتى يأذن الله لهم بالنصر، ويخرج آخر جندي مغتصب فرنسي من ديارهم، ولقد قطعنا علاقتنا مع فرنسا

إثر عدوانها على شقيقتنا مصر، ولم نر أن نعيد علاقتنا معها إلا بعد أن تتجه الأمور إلى إعطاء إخواننا في الجزائر حقوقهم من الحرية والاستقلال غير منقوص، ونسأل الله في هذا الموقف الشريف أن يؤيد إخواننا في الجزائر، وينصرهم ويؤيدهم بنصر من عنده.

إخواني : لا يوجد مسلم في قلبه ذرة من إيمان إلا ويشعر أن في عنقه ديناً لجزيرة العرب التي انبثق الإسلام منها، وانتشر في سائر العالم، وعليه أن يتمنى لهذه الجزيرة الأمن والسلام، وكلنا يعلم أن أطراف جزيرتنا من بعض الجهات الشرقية والجنوبية الشرقية والجنوبية منيت بالاستعمار وأساليبه ومكايده، ونحن عاملون وثابتون في الدفاع عما هو عائد للمملكة العربية السعودية لاسترجاعه بعد العدوان الذي وقع عليه، ولن ندخر جهداً بهذا في سبيل عودة ذلك الجزء من أطراف جزيرتنا حتى ينجو من الاستعمار وأعوانه.

إخواني : هذه سياستنا، وكل آمالنا وأهدافنا :

أولاً: أن يحافظ المسلمون على دينهم في أوطانهم، وأن يعملوا على مقاومة المبادئ التي تعمل على هدم الإسلام.

ثانياً: أن نعمل على تقوية العلاقات مع الدول الإسلامية ليتعاونوا على حفظ كيانهم وكيان المبادئ الإسلامية.

ثالثاً: أن نعمل على إخراج أعداء العرب من بلاد العرب، وأن يعيش العرب أحراراً في بلادهم سواء في فلسطين أو الجزائر أو الجنوب العربي أو الجنوب الشرقي العربي.

رابعاً: وهو الذي ندعو الله مخلصين أن يؤيدنا فيه، وينصرنا جميعاً وهو أن يجمع كلمة العرب، ويزيل الشحناء فيما بينهم، وأن يعيدهم إلى جامعتهم العربية كتلة واحدة متراصة حتى يتمكنوا من الوصول إلى أهدافهم السامية، ولذلك أدعو الله وأدعو سائر العرب والمسلمين أن يؤمنوا معي : اللهم اجمع كلمتنا، وأزلْ الفرقة فيما بيننا، وأجمعنا على ما تحبه ويرضيك، كما أسأله تعالى أن يتقبل منا ومنكم حجنا، وأن يعيدكم إلى أوطانكم سالمين في أبدانكم، غانمين برضوان الله سبحانه وتعالى وتوفيقه، وأن يعز الإسلام والمسلمين والعرب أجمعين. والسلام ".

وبعد هذا نهض الشاعر المعروف الشيخ أحمد الغزاوي، وألقى حولية الموسم، وكانت ميمية :

مشهدٌ رائعٌ وحفلٌ عظيمُ
وائتلافٌ يحفُّهُ التكريمُ

سيفُهُ عابسٌ محيَّاهُ طلقٌ
وحماهُ السلامُ والتسليمُ

وبعد هذا قصد الناس قاعة الطعام أو ميدان الطعام على الأصح، الأكل جلوس، إن الجو يذكر بجو المصطافات، فقد أخذنا بعد هذه الفترات التي قضيناها هنا نشعر بالبرد، وقد فتح هذا الجو شهيةَ الأكل بالرغم من أنني كنت أعتزم ألا أتصرف كثيراً! وما هي إلا برهة حتى سمعنا أقدام المقاعد تتزلج من تحت "الأولين" المنفضين عن الأكل، فقمنا متجهين نحو الباب، فوجدت الناس مزدحمين على الباب تماماً كما يحدث عندما يكون هناك مطر مسترسل، وينتظر القوم بالباب لمرور السحابة! بيد أن الباعث على الانتظار كان هذه المرة هو هذه الفيح اللافح في منتصف الليل. !! إن المدعوين ما رضوا بتوديع القصور المكيفة، فعلاً (١٥) درجة داخل القصر و(٥٠) خارجه ! من هنا أصيب الرئيس البكاي ليس بضربة شمس! ولكن بضربة قمر!! واستمر ينهار يوماً عن يوم، ليلة ليلاء (٤٠) درجة حرارة في صميم الليل، وزاد في شعورنا بالحر هذه "المأدبة" في تلك الظلال المصطنعة، لقد كانت السيارات الشاحنة تمر بين الفينة والأخرى؛ لترش الطريق، وتلطف من قسوة الجو، فكانت الكلاب ـ وهي من أكثر الحيوانات صبراً على العطش ـ تتطارح على المكان الذي ينزل عليه الماء لتنتعش!! ما ذكرتُ في حياتي أنني كنت أترقب سنوح الفرصة؛ لأقصد ليلاً (الثلاجة) من أجل تجرع بعض ما يبرد فيها من ماء !، وقد زاد في ترقب بعضنا لبعض أنها ـ أي الثلاجة ـ كسول، بحيث لا نستفيد إلا مما يوضع في القسم المثلج منها !!

ولا أدري أين تذهب هذه اللترات التي نكتسح من الماء كل يوم؟ إننا لا نبول بنفس المقدار الذي نشرب!.. الكلُّ ينصرف عرقاً، ولذلك فإن مخادنا الخشبية وفرشنا غير الناعمة هي التي تحظى بهذه الإفرازات !.

هذا يوم التروية : غسل الكعبة (٨ من ذي الحجة = ١٩٥٩/٦/١٣م)

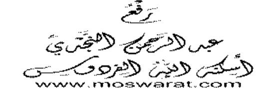
وقد دعينا للحضور في احتفالات غسل جوف الكعبة الذي يتم فجر اليوم الموالي لهذه الليلة، قصدنا المكان قبل الميعاد المحدد منتظرين الموعد، أضحت الكعبة تموج أكثر من أي وقت، إن الحجاج يريدون أن يشربوا من زمزم في هذا اليوم، ويترقبون تسرب قطرات الماء الذي ستغسل به الكعبة، هذا طبعاً إلى رؤية المواكب الخاصة، كل جماعة من كل أرض ومن كل فج بكل لسان يدعون الله، أمواج من الناس يتهالكون على زمزم، وقد غلب الحرس على أمره فراح يستعمل عصيه لتفريق الموج. يوم التروية لا بد أن يرتوي الحجاج جميعهم ! وباقتراب الوقت أخذ أغوات الحرم المكي يكنسون الممر الذي سيخترقه العاهل. الوفود الرسمية تتجمع هنا وهناك، أما أستار الكعبة فقد خملت (شمرت) هذا الصباح كأنما تستعد هي للتروية ! ولم نفتأ ـ ونحن ننتظر مقدم العاهل ـ نكرع المياه تلو المياه.

وقد دخل الملك بعد طول انتظار، لقد كنا مخطئين في الوقت الذي سببه اختلاف الساعات! طاف بصحبة الأمراء وأعضاء الوفود، ومن ثم نُصب السلم على باب الكعبة، تذكرتُ سلم

الطائرة عندما يقرب إليها لصعود الركاب أو نزولهم، إن الباب يعلو نحو المترين على أرض المطاف، ويحضر بنو شيبة الذين يملكون مفتاحها حتى الآن، لا ينزعه منهم إلا ظالم. سبع درجات في السلم صعدنا بعد صعود بني شيبة، وشيخ الزمازمة، ومعهم المحظوظون من الذين يحملون المكانس، نفذنا إلى قلب البيت الحرام.

تجولت ببصري، على الرغم من زحمة الوقت وفرحة المناسبة في المكان. لقد علقت بأعلى السقف بعض المباخر فيما أرى، ووضعت في الوسط بعض الزمزميات والأواني الفضية. الأرض مفروشة بالرخام. أما الجدار فنصفه الأسفل رخام والأعلى زرابي فاخرة تستر الجدار كُتِب عليها (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، كانت نسيجاً من القز الخالص المزركش بالذهب الإبريز.

صلينا ـ ولله الحمد وله المنة ـ ركعتين نحو لوحة نقش عليها: لا إله إلا الله محمد رسول الله. هذا المكان بالذات الذي صلى فيه الرسول الأعظم والمسؤولون ينبهون عليه، كانت الركعة الأولى بسورة الإخلاص والثانية بأية الكرسي وبعد الصلاة تلوت في مصحفي آيات من القرآن ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [سورة البقرة، آية ٢٥]، المكان حار وزادت في حرارته أنفاس الموجودين هنا، ولو أن عددهم محدود! إن أي قوة لا يمكن أن تسيطر على اندفاع الحجاج. ولذلك وتجنباً لتسلق بعض الناس إلى داخل الكعبة يُنحَّى السلم، ومع ذلك كنا نشاهد من يحاول أن يقفز



أو يطير ! كل منا مشغول بنفسه، يغتنم، يبكي، يصلي، رأيت من يصيح داعياً: "اللهم اقبض روحي إليك في هذا المكان" ثم ينهار!! نعم لقد اقترب موعد الغسل، وتقدم بنو شيبة للملك فأداروا على النصف الأسفل من عبايته شبه فوطة مطرّزة تحفظه من تناثر الماء، وأخذت المياه تنقل على الرؤوس من زمزم، والملك يكنس الأرض بيده، وقد وزعت المكانس الأخرى على الناس على حسب مراكزهم في البلاد، وكانت المسابقات على الكنس حادة، وكثيراً ما كنا نفرغ المياه على إحرامنا !!.

وبعد هذا أتى دور تضميخ جدار الكعبة الداخلي بالعنبر، وكلما مرت يد بعطر مرت أيدي بعدها تمسح هذا العطر، وبعد هذا استأذنا جلالة الملك حيث نزلنا الأولين، ولشدّ ما فوجئنا بالناس المنتظرين تحت، يتهافتون علينا للتبرك بنا وبثياب إحرامنا، كنا نسمع في بداية الأمر كلمات التهاني لكنها تحولت إلى نتف الثياب لأخذ بعض القصاصات، والشيء الذي كنت أخشاه أن تنكشف عوراتنا أمام الناس! ولهذا أسرعنا في سيرنا نحو الرباط المغربي.

لقد رجعت متعباً جداً، بل كنت مهدداً "بلطشة" شمس، كنت أشعر بأن مخي يغلي كأنما هو في مرجل! وكم كنا نضطر لوضع الأوعية المملوءة بالثلج على رؤوسنا بين الفينة والأخرى.

إن الهلكى لا يخلو حديث من ذكرهم! وصفارات الإسعاف لا تريح، وباقتراب يوم عرفة يزيد اكتظاظ هذه البقاع الشريفة.

وإن الذين يزيدون في تعقيد العمليات هنا هذه الكميات من المجاورين الذين يردون على هذه الديار ولا يعودون! أذكر على سبيل المثال أن هنا بمكة أزيد من ثلاثين ألف أفغاني مجاور على ما قيل لنا! رفضوا الانصياع لأمر المغادرة، ولما هددوا بسجنهم تساءلوا : أين يقع هذا السجن؟ فقيل لهم: في ضواحي مكة، ففرحوا؛ لأنهم مهما يكن سيبقون تحت سماء الحرم الشريف!!.

عند بني شيبة

وبعد جولةٍ قصيرة في المساء بالأسواق، وزيارة قصيرة للحاجة رحمة، كان علينا أن نسلم صِلةً من جلالة محمد الخامس إلى آل بني شيبة، فلما طلبنا إليهم موعداً "عزمونا" على العِشاء (بكسر العين) معهم في الحضرة، أعني أن نصلي أجمعين هنا مشرفين على الكعبة، وكانت مأثرةً فعلاً، حضرت لديهم بصحبة الأخ المكي بادو.

دعوا لجلالة الملك، وجرت بعض الأحاديث. ولمَّا توضأت سمعتهم يقولون: "من الزرقاء(٤)" وكانت مناسبة لذكر الآداب السائدة هنا في المشرق، فإن أهل المنورة يقولون للمتوضئ: "من زمزم إن شاء الله!" وعليك أن تجيب: "صحبة" يعني أجمعين،

(٤) يقصد بالزرقاء أو " الزركة " كما ينطقونها عيناً بالمدينة المنورة، وهكذا فإن من بالمدينة يرجو لك أن تنعم بماء زمزم في مكة، ومن في مكة يتمنى لك أن تنعم بماء الزرقاء في المدينة، ومن كان خارج الحرمين يقول لك (حرمًا) أي أن تنعم بالوضوء في الحرم.

والمصريون يقولون: "حرماً!" وستجيب جمعًا، أما هنا فالتمني: "الزرقاء" وهي ماء بالمدينة.

أدينا صلاة العشاء، ليس للإمام الذي يصلي بالناس مكان معين، فأحياناً يقف خلف مقام إبراهيم وأخرى أمام باب الكعبة. منظر رائع لهؤلاء المصلين، وهم يتجهون جميعهم نحو الكعبة محتفين بها، وعلى إثر السلام قدَّم لنا السادة كأساً مثلجاً من ماء زمزم.

وقد ودعنا هذه "الحضرة" شاكرين، واتجهنا نحو الرباط. وفي طريقنا صادفت الشريفة لالة حبيبة : عمة زوجتي، كانت تائهةً ضائعة مع رفيقتين معها فساعدناها على الوصول إلى مطوفها السيد عباس الحريري، وقد أَسديتُ لها نصحاً ألا تغامر بالتعمق في الدروب والأسواق، وألا تتجاهل التعب الحاصل من كثرة التَّجوال.

استشهاد الفقيه الخياطي (٨ من ذي الحجة = ١٩٥٩/٦/١٤م)

وفي رجوعنا بالليل سمعت عن إصابةِ الفقيه الخياطي المكناسي، وأنهم ينشدون طبيباً له. الفقيه الخياطي من رفاقنا في الدراسة بجامعة القَرويين من فاس، وهو الآن أستاذ بمعهد مكناس، من خيرة الناس وفضلائهم، كمْ قضينا معه من فترات أثناء الطلب، أشعرت زميلي الدكتور مولاي أحمد العراقي بالأمر، رُحنا للبحث عنه، كان مستحيلاً أن نتعرف على المكان، إن الذين أخبرونا بأمره لا يوجدون، وقد بعثنا برسالةٍ مع أحد الذين سمعوا

عنه نذكر أننا على استعداد طوال الليل لتلبية الطلب، وقد تلقينا إشعارات بالليل، ولكنها لم تكن منه، وقد فوجئنا صباح اليوم ٨ من ذي الحجة بأنه محتضر، وأنهم حملوه إلى الرباط ـ أعني رباط المغاربة ـ نزلتُ لعيادته لكنه لم يبق طويلاً، لقد أسلم الروح بين يدي، وأنا أتلو القرآن.

إنها "لطشة" شمس سببت له رعافاً، واستحال الأمر إلى حمى، لقد أمسى معها أزرق اللون أسوده، توفي في الساعة السادسة إلا ربعاً بتوقيت المغرب، لقد استغفرت الله له، وأديت واجب حمله إلى المكان المُعَد. لقد سمعت عن دكتور أجنبي أخذ منه بالأمس زهاء ثلاثين ألف فرنك مقابلة حبوب أسبرو !

المُحزن إلى جانب هذا أن أذكر أن رفاق الفقيه زارونا بعد أداء الحج (١٦ من ذي الحجة = ٢٣ يونيه) وقدموا لنا تقريراً بما كان اصطحبه الشهيد معه من المغرب من مال، وما وجدوا معه بعد الوفاة شيئاً !.

إن اليوم يوم زحمة ؛ لأنه يوم تنقل الناسِ إلى منى. معنا الرئيس البكاي الذي يلزم الفراش هو الآخر، لم يكن هناك من الوقت ما يسمح أبداً إلا بالتفكير في الرحيل إلى منى، "ونفسي نفسي!" هي شعَار الناس في مثل هذه الظروف.

وبعد أن كنا نعتزم الالتحاق بمنى صباح هذا اليوم أرجئ ذلك إلى ما قبل الغروب تجنباً لوهج الحر، إن " كيتي كولا " هنا هو المنعش المفضل، وأذكر أننا في أثناء هذا الانتظار لم نفتأ نحل

المشكلات الطارئة. إن في أبرز ما علق بمذكراتي قصة الفقيه ابن داود ابن خال والدي الذي سُرقت منه ستون ألف ريال سعودي، عندما كان "هائماً" ينتعش بدوشات زمزم التي كانت تُصب عليه، لقد كان يحتفظ بهذا المبلغ كله في الحزام التقليدي للحجاج، ولم يشعر إلا بأنه افتقد الحزام وافتقد معه المال ! ما زلت صورته أمامنا وهو يبكي!! لقد زودناه ببعض ما يبلِّغه.

وبين هذا وذاك فإننا لا نفتأ نتأنس بـ "واعظ الركب" الذي كان يتوفر على كتابٍ يُخفي عنّا عنوانه، يقرأ فيه قليلاً وحده، ثم بعد حين يضع أمامنا نازلة من النوازل أو أسئلة اقتبسها من الكتاب المذكور الذي لم يكن إلا كتاب (فقه السنة) !.

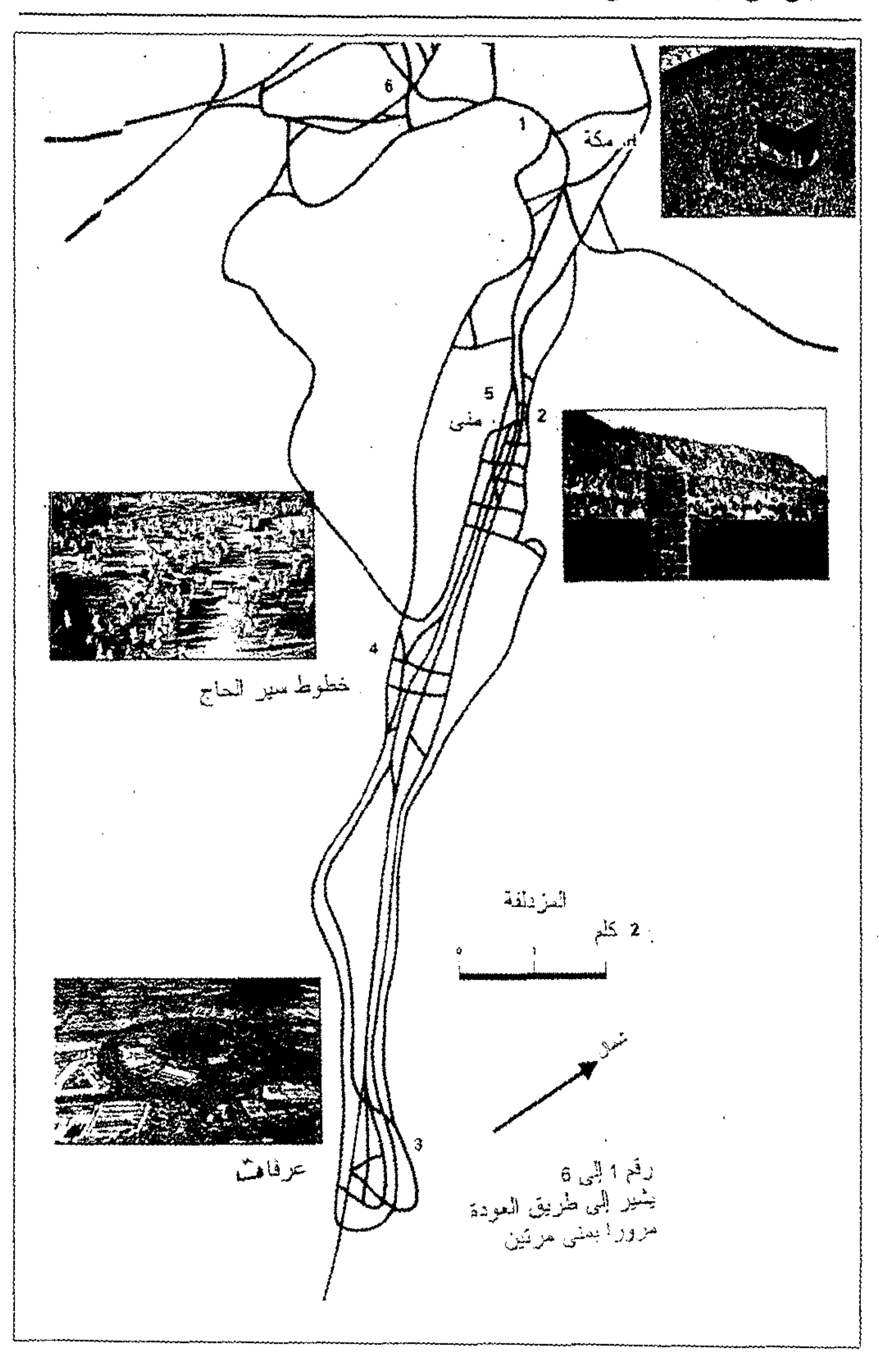
"مرور الرداء من تحت الإبط الأيمن وأخذ طرفه وجعله على الكتف الأيسر، وترك الكتف الأيمن عارياً، ماذا يسمى هذا؟! يسمى عند علماء الشريعة: الاضطباع بتقديم الضاد على الطاء،" هكذا يجيب الواعظ بعد أن يعجز الناس عن جوابه، وهكذا دواليك، وفيما نحن بين دروس الوعظ إذا بذبانة خَيْل تقع علي، وما شعرت حتى حاولت أن أهوي عليها، لكن الواعظ نبهني إلى الفرق الموجود بينها وبين "الوزغة" التي قتلناها بالأمس !.

التوجه إلى منى

وخرجنا من باب الرباط إلى منى بعد العصر، إن الأخ عبدالنبي (أو عبدالغني كما يُبدله بعض أهل مكة !) دائماً في صحبتنا، كانت أسراب من الجراد تداعبنا أيضاً في هذا الجو الحار. إن المسافة

فقط خمسة عشر كيلو متراً، لكنا قضينا فيها أزيد من أربع ساعات! آلاف الحاملات والشاحنات، إلى جانب الراجلين والراكبين على الدواب، إن كل حاج عليه أن يتجه هذا الاتجاه، والكل مضطبع، وأخيراً وصلنا إلى منى بعد اجتياز عدة مضايق، لكنا وصلنا قبل الموعد الذي حدثونا به لحسن الحظ، هذا عَالَم من المضارب البيض، عشرات الهكتارات مغطاة، إن المكان عبارة عن سفح أكمة، المقام المعد لنا يعتبر في منى من أفضل البقاع وأطيبها، نزله عدة رؤساء، المناخ طيب بالنسبة إلى مكة خاصة بعد غروب الشمس، ارتفاع منى عن سطح البحر أكثر من ارتفاع مكة، بمجرد ما ألقينا عصا سيرنا رحنا للجولة؛ للوقوف على المواقع التي ترمى بالحصيات والتي نسميها بالجمرات هذه الجمرة الصغرى، أقرب إلى شكل معصرة زيتون من الطراز القديم، عبارة عن سور مستدير وقد انتصب وسطه جدار قائم، عليه تنصبُّ الحصيات تواليًا، يوجد الآن خط مرور للذاهبين للجمرات وآخر للعائدين، وتلك خطوة مثلى في سبيل التخفيف من فوضى المسير، ثم زرنا الجمرة الوسطى الدائرية أيضاً المصبوغة هي الأخرى بالأزرق (النيلة) ثم زرنا الجمرة الكبرى (جمْرة العقبة) وهي نصف دائرة.

لكل الدول هنا بعثاتها الطبية التي تسهر على راحة الحجاج، وتتضاعف أعمال الممرضين والدكاترة كلما وصل الناس إلى منى، أو اقتربوا من يوم عرفات، لقد سمعنا عن عدة إصابات، ورأينا عدة انهيارات، وقد زرت العمة لالة حبيبة بصحبة الدكتور العراقي



طريق العودة مروراً بمنى مرتين

بعد أن بَلَغني عنها أنها منهكة، فاستبشرت وطلبت إلي أن أحضر لها حليباً ودواء.

وقد زرنا مسجد الخيف حيث صلينا المغرب والعشاء في نفس المحراب الذي صلى فيه الرسول ـ عليه الصلوات ـ وقد كان مما حز في نفوسنا مناظر على طول الجدار الخارجي للمسجد، فإن الحجاج يتخذون من هذه الأرض مكانًا لقضاء حاجتهم ! وقد كانت الروائح تؤذي الآذان قبل الأنوف !! قاذورات يجب أن تتنحى عن هذه الأمكنة بأي ثمن !.

وقد كان فيما تعتاد رؤيته هنا هذه الشاحنات المائية الكبرى التي يتقرب بها بعض المحسنين لله بهذه المناسبة، لقد كتب على بعضها (سقاية الحاج) هدية من السيد... من لاهور في الباكستان، و(الكلاكصونات) هنا أيضاً تخرق طبلة الآذان، وحتى الحمير تحمل عدة أجراس تسمع نقرها من بعيد، كانت ليلة بيضاء لم ننعم فيها بمنام؛ لأن النوافذ تقع على الشارع الرئيسي لمنى، ولهذا فكل صوت لا بد أن ينفذ إلينا !.

إلى عرفات

وطلع فجر يوم عرفة يوم الإثنين الذي كان يصادف تاريخ مولدي بالعجمي (١٥ يونيه ١٩٢١م)، وانطلقت المدافع إيذاناً بهذا اليوم الأغرّ، إن الكل بعد الفجر يتأهب للصعود لعرفة، وأخذنا السيارات، بحر متلاطم ولكن بالعربات ! بعد قليل وصلنا منطقة المزدلفة، كل وسائل النقل جندت، الصحراء أصبحت تتحرك،

هذا هو اليوم كلّه، الغبار يتصاعد أحياناً كثيفاً يمنعك من تصويب نظرك، السواق هنا لا بد أن يكون بهلوانًا وإلا لما استطاع أن يسير ! وقد رأيت حاجاً دهسته سيارة، وأسلمته لأخرى وحسبناه مات، فإذا هو يبحث عن بقايا إحرامه في الجهة الأخرى !! لقد كان نصيبنا في التألم عليه أكثر من نصيبه هو في العناية بنفسه دون شك !! (٧) كيلو مترات فقط، ولكنها لا تقطع إلا في ساعات، مع العلم أنها ترش مرة بعد أخرى حتى لا تنشف فيتعذر المرور على الناس، وبين هذا وذاك فإن الأصوات تتعالى من هنا وهناك بالدعاء والتضرع : " اللهم إني جئت إليك من بلاد بعيدة بذنوب كثيرة... إلخ" . لقد رأيت زحّافاً زَمِناً يدب على الأرض دبيباً ليصل هو الآخر إلى عرفات، وأخيراً هذه عرفات، هذه خيامها الأولى، مسجد نمرة على اليسار، صومعة على الشكل الشرقي بحزامات خضراء، لم أر مثل هذا التجمع أبداً في حياتي، وبين الفترة والأخرى تسمع صفارات زودت بها السيارات الرسمية التي تقل بعض الشخصيات، إن الناس لطول ابتعادهم عن (الماكياج) والزينة تغيرت معالمهم ! وقد أصبحوا وكأنهم يحملون أقنعة !! فمِن لحىً بيضاء تدلت كنا نعتبر أصحابها شباباً يافعين ! ومن لحوم مترهلة كنا نخالها إلى الأمس مكتنزة ! ومع أن الموقف عظيم فلا بد لبعض الناس أن يشتغل ببعض الناس حتى ولو كان أولئك الناس ممن عهد لهم بتقويم اعوجاج الناس ! والناس طباع وأكثرهم بالضاد كما كان يقول شيخنا سيدي المدني ابن الحسني!.

إن السرادق المغربي كان فخماً، كانت رقاعه من اللون الأحمر والأخضر والأصفر والأزرق، وقد نصبت في صدره صورة لصاحب الجلالة الملك محمد الخامس والسرادق مكلل بالرايات المغربية ذات اليمين وذات اليسار. إن الكل متعب، ولذلك فقد قصد الناس المخدات والفراش.

ولقد نصبت هنا بين دروب المضارب مراحيض ضماناً لراحة الناس، ولكنا كنا مضطرين لمساعدة الرئيس البكاي الذي كان متعباً جداً بالإضافة إلى ساقه المبتورة.

إن أدعية الناس هنا غريبة، ولا بد للمتعة أن تصيخ بآذانك لتسمع وسائل الناس في خطابهم مع ربهم، لقد سمعت من يقسم على الله بقوله: اغفر والله لا بد أن تغفر !!

اللحظات الضارعة

لقد اقترب العصر، وكل من في الخيام أخذ يتجه نحو القبلة، نحو الله، يدعو له وللذين حملوه أمانة الدعاء لهم في هذا الموقف العظيم، لقد صلينا الظهر والعصر قصراً وجمع تقديم كذلك، إن الحرارة تصل تحت المضارب إلى (٤٦) ونصف درجة مئوية، كنا نتوضأ بالماء وكأنه كان موضوعاً في قدر على النار، جلّنا يتناوب على جعل الطاقيات المثلجة على رأسه حتى الحاجة شاكرة كريمة السيد الفاطمي ابن سليمان ! لقد انتقلنا بعد الصلاة من شعيرة "التلبيات" إلى شعيرة "التسبيحات" سبحان الله والحمد لله، وبين الفينة والأخرى كان بعضنا يذاكر البعض الآخر، فإن المطوف

ـ في هذه الساعات المحدودة ـ يريد أن يعرف نوع "مخالفات" الحجاج. ليتسلم منا المبالغ التي تكفي للهدْي : دماء جبر "المخالفات" ، فمن مفضل للجمال، ومن مقتصر على الكباش إلخ. إن بعضنا يقف ليقدم العون للرجال الذين يثبتون الخيمة خوفاً من عبث العواصف التي هبت، إن الموقف جد، وقد يسر الله لي فكانت هذه اللحظات هي التي ختمت فيها تلاوة المصحف، لقد وصلت إلى نفس الآيات التي بدأت بها وأنا على متن الطائرة ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ [سورة الأعراف آية رقم ٣٥] إلى قوله تعالى ﴿وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف آية رقم ١٨٨] بمصحف لي صغير مكتوب بخط مغربي، إن أصيل تاسع ذي الحجة مشهود في هذه الديار ! ما نسيت ـ لو أنسى ـ هذه اللحظات الضارعة الباكية التي تجردنا فيها عن العالم الذي نعيشه وتقمصنا روحانية ما كان ألذ الغيبوبة فيها ! وكلما اقترب موعد الغروب تعالى الناس بأرواحهم يتوسلون، وتبودلت التهاني عند الغروب، إننا جديرون منذ اليوم بحمل لقب "الحاج" اللهم اجعله حجاً مبروراً لا رياء فيه ولا سمعة.

وبسرعة أخذ العمال يجمعون السرادق ويلفونها لعامٍ قابل، إن هذا السهل الذي يقع على أقدام جبل الرحمة كله يموج من جديد بالشاحنات والسيارات لأخذ الطريق إلى المزدلفة.

وتحركت السيارات، كنا مكانَ تكريم من لدن الحَرَسِ النجدي الشهم. إن وفد ملك المغرب موفور الاحترام، لقد ودعنا مسجد نمرة، وإن مذكرتي من الآن ستكتب فقط على ضوء السيارات المتوالية التي تتحرك شبراً شبراً، وأخيراً وطئنا أرض المزدلفة، إن الحديث عن هذه الطريق أطول من نفس الطريق ؛ لأن المسير كان في منتهى الصعوبة والوقت ليل، الأضواء تتلألأ عند المشعر الحرام، لقد التقطنا على ضوء القمر الجميل هنا سبعين حصاة استعداداً لرجم الشيطان(٥) سبعة للغد، ثم (٢١) لكلّ يوم من أيام التشريق الثلاثة، فإذا كنا من المتعجلين كان علينا فقط أن نستعمل تسعاً وأربعين لحظات فريدة زاهرة، إن السفير الفقيه غازي مُتعب، ولذلك فقد " اكتتبنا " له بنصيبٍ من الحصيات، وهنا في المزدلفة جمعنا المغرب والعشاء جمع تأخير، إن تعاليم الإسلام حول " جمع التأخير " كانت صائبة؛ لأن الزمان المادي فعلاً لا يسمح بغير ذلك. إن كثيراً من شعائر الحج من باب التعبد المطلق الذي لا مجال لاستخدام العقل فيها أكثر من اللازم، وإن أسرار العظمة تكمن أحياناً في أن تمتثل من غير أن تسأل : عن لماذا هذا الامتثال ؟ بعد صلاة العشاءين كانت ساعتنا تشير إلى السادسة وسبع دقائق، كانت منى تتجلى عروساً بما تحلت به من لآلئ، ليلة ما ذقنا فيها النوم إلا لماماً، إن الشارع بات يرقص بالحاجين والحاجات، وقد ظلت

(٥) الرمي للجمرات، وهي رمز للشيطان.

صيحات المتاجرين سواء بالثياب أو بالزبادي والمبردات تنفذ إلينا، وكذا فإن صيحات الإسعاف هي الأخرى لازمت طوال الليل.

تهنئة الملك وولي العهد بالعيد السعيد

وقد افتر ثغر (منى) هذا الصباح عن يوم عيد الأضحى، الناس في طريقهم إلى رمي الحجارة على الجمرة، ولقد رمينا الشيطان بسبع حصيات بعد أن أرشدني السفير الفقيه غازي إلى مكان الرجم، وتكثر في هذا الزحمات بعض المحاولات للنشل! لقد شعرت بأعور ذي وفرةٍ اغتنم فرصة غيبوبة الشيطان تحت تأثير الرجم وغدا هو شيطاناً يتسلل إلى الجيوب!! لكن يسراي كانت موضوعة على "النصيب"، واستطاع هذا الأعور أن يختفي تحت رحمة الزحمة، وينساب في جماعاتٍ أخرى، ومع أن العقاب الذي تنزله السلطات السعودية ـ عن حق وعدل ـ بهؤلاء الانتهازيين شديد، ومع ذلك لا بد أن يُسيل الطمع لعاب بعض الشرهين!.

والمظلات هنا نقمة عامة إلى جانب نعمتها الخاصة، فكل واحد يحمل مظلاً ولكل مظل نهاية حادة كالرمح وكثيراً ما تؤذي الناس في هذا الممر المحدود الذي يكون على كل الحجاج أن يسلكوه[٦] ليرجموا الشيطان. إنه يوم صعب بحق، ولذلك فإن

(٦) (منى) منطقة محدودة المساحة محاطة بالجبال، ومع كثرة الحجاج يزدحم الناس في الطرق مهما كانت سعتها، وقد عملت حكومة خادم الحرمين الشريفين على توسعة المداخل، ووضع الجسور، وإزالة العوائق الطبيعية؛ مما أسهم في انسياب حركة الحجاج في هذه الأماكن.

الخطر فيه لا يقل عن يوم الأمس إذا لم يكن يزيد عنه، وفي الناس من يصر على رمي الحجارة ولو أنه يعرف أنها لا تصل الهدف، وقد سمعت رنة حجر أخطأت هدفها وضربت رأس واعظ الركب! وبعد هذا يتعرض لك الحلاقون بمقصاتهم المفتوحة ينادون : "فك إحرامك يا حاج ! فك إحرامك يا حاج !" إنه مشهد فريد.

وقد كان الدكتور العراقي هو الذي فك إحرامي كما كنت الفاكَّ له، ومنظر آخر يلفت نظرك ولكنه ليس بنفس الحدة التي كان عليها منذ زمان على ما حكوا لنا، منظر هذه الذبائح التي توزعت أشلاؤها هنا وهناك، لقد أخذت أتساءل : هل من الصواب أن تنشأ معامل لتصبير اللحوم هنا حتى لا تضيع هذه الذبائح، وحتى لا يحرم منها آلاف الضعاف ممن يتضورون جوعاً في بعض الجهات؟[٧].

فإلى مكة مرة أخرى

وبعد هذه اللحظات قفلنا إلى مكة، إن الطريق قصير ولكنه طويل، في الناس من زهد في السيارة وقطع الطريق على قدميه فوصل قبل الراكبين، أمواج متلاطمة من القوافل، وصلنا مكة، وبعد طواف الإفاضة، أسرعنا إلى المرايا للحلق، التحلل الأصغر، منذ سبعة أيامٍ لم نقترب موسى أصبحنا وكأننا ناس

(٧) لعل إنشاء مشروع المملكة العربية السعودية للإفادة من لحوم الأضاحي، الذي عهد للبنك الإسلامي للتنمية تنفيذه مما حقق ما تمناه المؤلف.

آخرون، ذكرت قول أخي الحاج عبدالله ملين حكاية عن الحطيئة الذي " يرى له وجهاً شوه الله خلقه". كان الطواف هذه المرة شاقاً جداً وخاصة في المسافة التي بين مقام إبراهيم والكعبة؛ لأنها تضيق مَن بقية المسافات، وهكذا يزدحم الناس عليها، وكم استشهد هنا من حجيج !. كنت إذا ما اقتربت إليها أسلمت نفسي، لا أكلفها محاولة للخطى فأحمل بين الناس، ويدفعني الناس حتى أجد نفسي في الشاطئ الآخر !! سمعت عن محاولة السعوديين بنقل مقام إبراهيم عن موضعه حتى تتسع المسافات، وذلك عملاً بالفتوى التي تعتمد على إيثار المصالح، لكن في الناس من وقف ضد هذه الفتوى معتمداً على حديث نهشل حول تحديد موقع مقام إبراهيم من الكعبة الشريفة بالأذرع، ومن المعلوم أن مقام إبراهيم ـ وهو عبارة عن حجرة جعلت عليها قبة ـ كان السيل قد عبث به، فلما اعتزموا على بنائه أيام عمر بن الخطاب ذكر أحد الصحابة أن المقياس كان بين المقام والكعبة كذا ذراعاً، لكن أصحاب الرأي بإيثار المصالح يروون تتمة لهذا الأثر أن عمر بن الخطاب كان تحدى هؤلاء المحددين بالأذرع، وطلب إليهم إحضار ما يثبت ذلك فعجزوا.

إن الكعبة أصبحت اليوم، وقد أرسلت ستائرها السوداء إلى الأرض بعدما كانت بالأمس مشمرة.

إلى منى من جديد !

وقد صعدنا إلى منى من جديد، في وقت كان شديد الحرارة، وذلك لأداء الشعائر الباقية رمي الجمرات. إن الماء هنا عزيز، (التنكة) الواحدة بريالين سعوديين، ولكن بدون ظرف طبعاً ! أذكر هذا مع أن ثمن (التنكة) من البنزين لا يتعدى أربعة ريالاتٍ فيها الظرف والمظروف. !!

كم كان يلذ للناس وقد فرغوا من مناسكهم أن يجلسوا للحديث. وكان أسوأ ما في طبائع الناس عند المناقشة أن يبالغوا. كان حديثاً سياسياً حاداً حول الانفصالية والاستقلالية والشعوبية.

لدى جلالة الملك مرة أخرى

وقد كان علينا أن نقوم بزيارة للقصر الملكي للتهنئة بالعيد جلسنا في خيمةٍ للانتظار مفروشة بالزرابي النفيسة، الشيخ الحُصَري الذي دعي من مصر يشنف الآذان بما يتلو، وحوالي السادسة والنصف ـ بتوقيتنا ـ استقبلنا العاهل الكريم في الردهة الخاصة به. جنة فردوس في هذه الصحراء المكيفة ! كان يجلس على كرسي غُلِّف بجلد نمر، قدمت إلينا القهوة العربية، وقد تقدم الشاعر الغزاوي فألقى حائية جميلة:

بحمدك ربَّ العالمين نسبح
وفي نعمة الإسلام بالعيد نفرح

بلى ! ما استطعنا فلنكن خير أمة
لها من تصافيها السياج المسلح
كذلك نجني اليوم ما هو غرسنا
وكل إناءٍ بالذي فيه ينضح
وكلّ أمرئ منهم أخوه أو ابنه
حناناً وإيثاراً بما هو يسمح

لم أستطع التقاط جميع أبياتها إذْ كنا نشغل أحياناً، وقد اجتمعت هنا ببعض الإخوة من الذين تعرفت عليهم في مؤتمر الأدباء، وأذكر منهم الآن الأستاذ عبدالرحمن المعاودة شاعر قطر.

عند سمو ولي العهد مرة أخرى

ومن قواعد الأدب أن نتقدم أيضاً بالتهاني لصاحب السمو ولي العهد الأمير فيصل، لقد زرناه هذه المرة في خيمته كذلك، تحدثنا في صفاء عن موسم الحج، وعبر لنا عن المخاوف التي كان يشعر بها قبل الموسم مخاوفه من كثرة الحر، لكن الجو ـ يقول ـ كان مريحاً !!.

سألته عن العدد الحقيقي للحجاج هذا العام فذكر أنه "ستمائة ألف ومائتان" : منها ٢٧٠/٠٠٠ من الخارج، و ٣٥٠/٠٠٠ من الداخل، أقل من حجاج العام الماضي.

جاهرت سموه حول بعض الانطباعات التي تكونت لديَّ، فتحدث لي بصراحة نادرة عنها، قال : " إن في النية إقفال باب

الحج في مواعيد معينة رغبةً في معرفة ما علينا من واجبات؛ حتى نقوم بخدمة الناس على ما يجب، ولقد حاولنا منذ هذا العام تطبيق هذا، ولكن مع الأسف وصلتنا في آخر لحظة يوم ثامن ذي الحجة برقيات من بعض دول عزيزة تطلب فسح المجال لستمائة حاج !، فما عسانا نقول لناس صمموا العزم على زيارة هذه الرحاب، صعب جداً التحكم في مشاعر المسلم من طرفنا وحدنا " وقد كان يشير إلى أن العبء يجب أن يتحمله كل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

وقد أسدينا للأمير آيات الشكر، واستأذنا.

إن الذبائح ما تزال آثارها على الطريق، وبعضها أمام الناس في الخيام، ويلاحظ فعلاً أن جانباً من التبعة يلقى على كاهل الحجاج، ففيهم من يحضر، وهو لا يملك غير ما يركب به ! وما يشتريه هنا من أغراض وهدايا وفيهم من يتعشق الاقتصاد ويؤثر التقشف على جانب التوسع، لقد رأيت من نصحه الطبيب بشراء قطعة ثلج يجعلها على رأسه، ولكنه استعظم ثمنها بالرغم من أنه يتوفر على الوسيلة.

رجم الشيطان من جديد !

ورحنا إلى رمي الحجرات الباقية (٢١ حصاة)، تمسك الحصاة بين السبابة والإبهام، وأنت تقول : " الله أكبر ! الله أكبر ! طاعةً للرحمن ورجماً للشيطان وحزبه ! اللهم اجعله حجاً مبروراً وسعياً مشكوراً وذنباً مغفوراً.. " .

إن أصداء الإصابات تتوالى، لقد التجأت لدار المغرب عدة أسر تطلب الإسعاف والإيواء؛ لأنها لم تستطع تحمل أوار الشمس الذي يخترق منفذ ستائر الخيام لينزل على الرؤوس مضاعف الأثر.. !!

كان يخيل إلى أذني ونحن نرمي الجمرات أن بَرَداً متوالياً ينزل في عنف على سقوف، أو أن حبوباً تُحمص وتُقلى، الوقعات متعاقبة، هذا إلى صفارات الحرس الذي وقف مشرفاً على الجمهور ينبه المبالغين، فإن في الناسْ من يرمي بحجرة وليس بحصاة ! وفيهم من يرمي بنعله !.

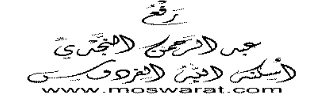
استشهاد العمة حبيبة !

وإلى جانب ما سمعناه عن استشهاد السيد الفروي والد صديقنا ومضيفنا بالمدينة، وعن إصابات أخرى وأخرى، إلى جانب هذا أُبلغت أن العمة لالة حبيبة أصيبت، وأنها نقلت على عجل للمستشفى، فأسرعت مع الدكتور مولاي أحمد العراقي إلى هذا المستشفى بمنى، وقد كان وقوفنا على هذا المستشفى مما زاد في رعبنا فعلاً. ! إن المصابين يتقاطرون بالعشرات، وليس هناك بقعة من أرضه تكفي لموضع قدم ! كنا نتعاون على قطع الطريق للبحث عن هذه السيدة، لقد وقع بصري على غرفة كبيرة عن يساري، تحتوي على نحو من ثمانين حوضاً مملوءاً بماء مثلج، يُعوِّم الممرضون فيها الملفوحين المصابين بضربة الشمس INSOLATIOM، فإذا ظهر بعد وقتٍ أن في المصاب أملاً حمل

إلى غرفة (المؤملين)، وهم عشرات يعانون سكرات الموت، يصيحون في أصواتٍ غريبة ما سمعتها في حياتي : غرغرة وحشرجة، أصوات أقرب أحياناً إلى أصوات الطيور والحيوان منها إلى الإنسان !! لحظات لصقت بذاكرتي !!.

وفي الناس من أذعن واستسلم، على أن في المُصَابين طوائف أخرى عُدَّت في الميؤسين وهناك غرفة أخرى خصصت للمنتعشين، ولكن هؤلاء كانوا في حكم المغشى عليهم.

بحثنا في كل الأركان وبشجاعة مكرهة (بفتح الراء) (مكْره أخاك لا بطل)، إن الدكتور العراقي ـ وهو على ما عرفنا ـ غُلب على أمره، وطلب إلى أن نخرج ! لكني رجوته في الصبر، فلا هي في "المعوَّمين" ولا في "المؤملين" ولا في "المنتعشين" بل ولو مع "الميؤسين" ! بحثنا هنا وهناك وبعد حين سألتنا إحدى الممرضات : هل هي نظيفة ؟ بيضاء ؟ قصيرة ؟ قلت : نعم، قالت : كانت تعبانة وممكن أنها أعطتكم عُمرها !! (تعني ماتت)، ومن هنا هرعنا معها إلى إحدى الممرات، هنا وجدنا أحد المكلفين يبحث عمَّن يعرف "مراكشية" توفيت الآن ! فأسرعت نحوها كاشفاً عن وجهها فإذا بها الشريفة (الحاجة) لالة حبيبة، على أنفها أثر من دم، لقد أسلمت الروح لخالقها قبل أذان المغرب بنصف ساعة (١١/٣٠) بتوقيت الحجاز على ما قلناه، قال لي الذين حضروا وفاتها : إنها لما شعرت باضطراب الحال ـ وكانت واعية ـ سلمت على الجميع، وطلبت إليهم أن يقرؤوا



سلامها على الكبير والصغير، ولما اشتد بها الأمر أخذت تنادي : " عيّطوا لي على لالة منى !! ـ أي نادوا لي لالة منى ـ لعلها كانت تناجي هذه البقاع الطاهرة، قبلت جبينها، وقرأت عليها بعض الآيات، تقبلت التعازي وكانت في الواقع تسليات : " إن النبي كان يتعشق تربة منى، ويلذ له أن يقضي فيها مناسكه" .

لقد زرت بعد هذا أقرباء لنا في خيامهم بعد أن سمعت أن من أسباب انهيار العمة نقلَ المطوف لها من البيوت المسقفة إلى الخيام المستهدفة ! بعض السيدات الفاضلات من بيت ملين بالرباط ممن غلبن على أمرهن طلبن الالتجاء إلى غرفةٍ بدار المغرب، فرجوت الدكتور الزعري أن يحضرهن من خيامهن، لكنه لما راح إلى المكان، وسأل عن السيدتين المتعبتين المقصودتين قامت اثنتان في سرعةٍ وادعتا أنهما المقصودتان فوردتا واحتلتا الفراشين المعدين للمتعبتين !!.

إن البيت لم يعد خاصاً بالمغاربة، فلقد هجم الناس عليه من كل حدب وصوب، فإن سمعة البعثة الطبية المغربية كانت بحق رائعة، إن الحرارة في إصرار، وإن الجراد يملأ فضاء منى" ٤٠ " درجة في الظل، ويكثر حديث الناس عن هذه الانهيارات التي تسمع هنا وهناك، وكثيراً ما صممنا العزم على مكاشفة أولي الأمر في ألا يسمحوا أبداً بالحج للضعفة، والعاجزين والمرضى.

كان الدواء الذي نستأنس به ونحتمي هو الكينا ـ حبوب فيتامين ـ حبوب الملح، هذا إلى الأسبرين، ويمتاز اليوم الذي لا ننسى فيه

حبوب الملح بأن الشَّرَهَ إلى الماء يخف، هي بالذات ملح ولكنها مغلفة بحيث لا يشعر الإنسان بمذاقها على اللسان.

هل الحج مؤتمر ؟

وثمة سؤال سجلته لا بد لي أن أردده، هل الحج ساعدنا في التعرف على شخصيات إسلامية عالمية ؟ إننا إذا توخينا الصراحة في القول، لا نملك غير القول بأن النتيجة كانت سلبية ! ليس فقط بالنسبة إليّ في هذا العام، ولكن بالنسبة للكل وفي سائر الأعوام. فإذا ما استثنينا بعض الالتقاءات بالصدفة، والنادرة التي جمعت ببعض الناس نجد أنفسنا كأننا لم نخرج من المغرب ! إن كلّ قطر يلتئم حجاجة ببعضهم، يرون ذلك واجبهم. فهم عند مطوف واحد، أكلهم واحد، لا يفترقون، حديثهم في نفس المستوى والموضوع الذي كانوا عليه في بلادهم، وأنكى من هذا وأسوأ أن الناس الذين هم من القطر الواحد هم أيضاً فِرَق وجماعات، فأهل هذه المدينة لا يتعرفون على أهل المدينة الأخرى، وحجاج تلك القرية لا يخالطون القرية الأخرى، وبعد هذا فإن الطبقات الثرية قلما تستمع إلى الآخرين ! أو تجتمع إليهم، وهكذا فلكل وجهته، وإنما الناس يؤدون هذا الواجب وهم - في نظري على الأقل - بعيدون كل البعد عن كل فكرةٍ توحي بالتعارف والتآلف ! وحتى الوفود الرسمية لا تتعارف فيما بينها، لا يعرف أحد مكان الآخر، وكأنه لا يهمه أن يعرف، لقد طلبت رؤية وفدٍ من بلاد، فتلقيت

سؤالاً غريباً عن سبب وموضوع الزيارة، وكنت مضطراً لسحب الطلب !!.

إن مما فكرت فيه وجوب توزيع أسماء الوفود ـ على الأقل ـ بعضهم على بعض، واعتقدت أن ذلك ينبغي أن يكون من حسنات استقبالات الجهات السعودية، وشيء آخر لا بد أن لا أنساه، فإن هذا التجمع ولو أنه تلقائي ـ أو مفروض إذا شئت أن تقول ـ كان يمكن أن يكون مناسبة للدولة المضيفة لنشر أكبر عددٍ ممكن مما يمس التعريف الدقيق بهذه الأراضي، ويمس نشاط الحكومة مثلاً، أريد أن أقول: إن على أجهزة الدعاية أن تعرف عدد الحجاج ليصبح أو يمسي عند كل واحد منهم صحيفة أو كتاب، إن الدول تبعث بمنشوراتها إلى البلدان النائية لتكتسب الذكر، فما بالك ببلاد تتقاطر عليها تلك البلدان النائية بنفسها، أفليس خليقاً أن تستثمر هذه المناسبة أحسن استثمار ؟.

وداع الجمـرات

وقد زرنا أحواض الجمرات الثلاثة مرةً أخيرة يوم ثاني عشر من ذي الحجة، وقد لاحظنا أنها أي الأحواض أترعت وتكتدست بالحصى، إنها تناهز ثلاثة وأربعين مليوناً وأربعمائة ألف حصاة ! إن على كل حاج أن يقذف بسبعين حصاة، وإن عدد الحجاج على ما عرفنا أليس كذلك ؟

وداع منـى

وقد رجعنا إلى مكة المكرمة، وبما أننا قطعنا مترين ونصف بالسيارة في حوالي ساعة، فقد قررنا نحن ثلةً من الإخوان : العراقي بادو، وجمال الدين نجل السفير أن نقطع المسافة على الأقدام، لقد وصلنا البيت قبل السيارة، وكانت أثمن هدية اكتشفناها هنا قطعة من ثلج في " الفريجيدير " .

وعلى العادة لم نفتأ عاملين على الاتصال بكل من نشعر فيه برغبة اتصال، فاجتمعنا هذا الصباح بالأستاذ الطيب بن عيسى صاحب جريدة المشير والوزير، وقد كان ضمن أعضاء الوفد التونسي، وقد قصدنا بعد تبادل بعض الحديث المسجد الحرام لأداء الجمعة، وقد حمل الخطيب بشدة هذه المرة على " الفرق والشيع " ، ودعا الناس إلى نبذ التفرقة، وأعاد إلى أذهان الناس أن الحج يتم هنا، وأن الصلاة بالمسجد الحرام لا تعادلها حتى الصلاة بمسجد الرسول ﷺ [٨] ولكنه لم يفته التصريح (بأن زيارة قبر النبي ﷺ ليست من الواجب في شيء، وشكك في الحديث المروي: "من زارني في قبري فكأنما زارني في حياتي، ومن زار قبري وجبت له شفاعتي" ، قال : إنها آثار متكلَّم فيها)[٩] .

(٨) لأن الصلاة بالمسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة، والصلاة في المسجد النبوي تعدل ألف صلاة.

(٩) ممن تكلم في هذه الآثار السخاوي في كتابه : المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تعليق عبدالله الصديق، ص٤١٠، دار الكتب العلمية، وهذه الآثار تتراوح بين كونها موضوعة أو ضعيفة.

وكان منظراً مؤثراً وداع الناس بعضهم لبعض بعد الصلاة، إن كل غريب سيرجع إلى وطنه.

أخذنا نفكر في الرجوع وفي " الإكراميات " التي سنؤديها للذين كانوا يلازموننا، فعلاوة على ٨٠ ريالاً سعودياً لسواق كل يوم لا بد من "بقشيش" إضافي !

في ضيافة السيد الحريري

وفي أصدقاء السفارة هنا الأستاذ محمود الحريري الذي " عزمنا " على الغداء في بيته بمنطقة جرول، وهو الآن من كبار موظفي وزارة الداخلية، ومن أعضاء لجنة توسعة الحرم، لقد كان فيما ذكره من مُغريات أن بيته (مكندش) مكيف، ورحنا عنده، كانت قعدةً من أمتع القعدات، تفيأنا في ظلالها، وفينا من استسلم لنوم لذيذ على هذه "التهويات"، وقد فوجئنا عندما حضر الغداء بأننا أمام طواجين مغربية صميمة، فهذه " التفايا " والدجاج بالليمون والزيتون والكسكس بالزبيب والحمص إيه ذا ؟ لقد علمت أن زوجته مغربية الأصل، وأنه اقترن بها بمناسبة قيامها بمناسك الحج، لقد تحدث إلينا الأستاذ الحريري كثيراً عن مشاريع التوسعة، وقدم لي مشكوراً بعض الخرائط والتصميمات الخاصة لهذه البقاع، كان أصيلاً بديعاً نعمنا معه بالراحة، ولقد أتممت الدفتر الأول من مذكراتي هنا، وكنت قد صحبت معي الدفتر رقم (٢)، تمنى لي مضيفنا محمود أن أتمكن من زيارة المسجد الثالث

المسجد الأقصى، فتتحقق بذلك أمنية الجمع بين رؤية المساجد الثلاثة " التي تشد إليها الرحال[١٠].

العمرة بعد الحج

وقد يسر الله فقمنا في مساء هذا اليوم نفسه بأداء شعيرة العمرة، تهيأنا للذهاب للتنعيم حيث قمنا بالتعليمات المطلوبة، وهكذا ففي الساعة العاشرة كنا بمسجد الجعرانة حيث أحرمنا للعمرة، ومن ثم أخذتنا السيارات إلى الكعبة أولاً حيث دخلنا كما فعلنا عند الحج من باب السلام، مروراً بركن الحجر الأسود والرجوع على الممرات نفسها التي سلكناها في الحج، لقد استغرقنا في الطواف هذه المرة خمسين دقيقة، وقد كانت فرصة للتملي مما نحن على وداعه مشرفون. وقد تمكنت هذه المرة تحت حماية ذراعي الدكتور الخطيب من تقبيل الحجر الأسود عدة مرات، وبعد أن صلينا عند مقام إبراهيم اتجهنا نحو زمزم حيث " دوشنا " من جديد وتضلعنا منه كذلك، ومنه خرجنا للمسعى بفوطنا المبللة ! حيث قضينا في المسعى ساعة وخمس دقائق، كان مما لم أستطع ترك مذكرتي تمُرَّ دون تسجيله عليها بعض المناظر التي نتمنى مخلصين ألا تبقى، سيارات خاصة تمر بالمسعى تقطع على الناس خشوعهم وتبتلهم بما ترسله من " كلاكصونات "

---

(١٠) كان مقدراً لي أن أزور المسجد الأقصى في السنة نفسها يوم أول سبتمبر ١٩٥٩م عندما شاركت في المؤتمر الثقافي العربي الرابع بدمشق، أغسطس ـ سبتمبر ١٩٥٩م.

مشينة ! حقاً إن الأثر يذكر أن الرسول ﷺ سعى على المطايا، ولكن أي فرق بين المطايا ؟ وبين الظروف والظروف؟ وبين السابقين واللاحقين ؟! وصلنا للبيت "مهدودين" على حد تعبير صغيري أوس عندما تحول عنده النطق من "حجة إلى هدة" !! اللهم اجعلها عمرة بارة.

السبت ١٤ من ذي الحجة

وإن أهم ما نلاحظه وقد وصل الناس إلى هذه المراحل أن الحجاج أخذوا " يتسابقون " إلى مغادرة مكة، زرافات ووحدانا يتوسلون، أعمالهم هنا انتهت، لكن الخروج صعب وكما يقول المثل المغربي " ماشي بحال دخول الحمام بحال خروجه ! " إن الطريق وحيد، ولذلك فإنه لا يسمح بالخروج إلا بقدر محدود، وقد كنا طبعاً أحراراً في الخروج لأن إدارة المراسيم في وزارة الخارجية ترخص في مثل هذه الحالات. وقد نشر بلاغ رسمي هذا اليوم عن عدد الإصابات التي لم تتجاوز اثني عشر ألفاً..! من بين ٥٥٣,٠٠٠ على ما صدر به بيان رسمي، وتحدث إلي بعض كبار المسؤولين عن الصحة في منى بعد أن تركها الحجاج . . . إن المصالح الصحية ظلت طيلة يومين وهي تحفر الخنادق لدفن العظام والقاذورات.

طواف الوداع

وقبل الرواح إلى جدة، جلنا في الأسواق للتبضع؛ فإن " هدية السرور " مما ينتظره الأقرباء. لكن اختراق الأسواق كان في

منتهى الصعوبة، وكثيراً ما تسمع الذين يستعجلون قولهم: "خشب! خشب!" يوهموننا بأنهم يحملون خشباً حتى نفسح لهم الطريق، ولكنهم لا يحملون غير بضاعةٍ عادية وقد لا يحملون شيئاً!

نعم وقبيل الرواح شرعنا في طواف الوداع، ثم نهلنا وعللنا من ماء زمزم، وقد كنت وأنا أتناوله باستمرار أشعر بأنني أتحدى تعليق بعض الكتاب المغرضين من الأجانب ومن لف لفهم على ماء زمزم وأنه متعب للكليتين !! ثم صلينا ركعتين باكيتين، ولقد كان طواف الوداع مؤثراً جداً. وبعد صلاة العشاء في الحرم صلينا على " طائفة " من الأموات، ثم صلينا ثانية على طائفةٍ أخرى تجددت، ثم أخذنا الطريق إلى جدة التي وصلناها في الحادية عشرة بتوقيت الرباط.

لقد قصدنا فندق جدة "أجالص" بعد أن ألغت السفارة حجزنا في الكندرة، إنه فخم، وهو وإن كان لا يحمل "المفاجأة" التي توصي بالتقليل من الماء، ولكنه "يفاجئك" بقطعه للماء وأنت تحلق، أو تغسل، أو على مرحاض !! مراراً اضطررنا في المرحاض إلى استعمال قنينات المياه المعدنية إيفيان أو فيشي !! كنا نسأل عن أسباب احتباس الماء، فيقولون : إنه لم يفضل عن حاجة من هم " أعلى " منا ! كنت أتصور أن أقبل أنه لم يفضل عن حاجة من هم أسفل منا لأن الضغط للأعلين أشق منه بالنسبة للأدنين، فمن المعقول جداً أن يصل الماء للأدنين ولا يصل

للأعلين، لكن الواقع هنا أن مفهوم " الأعلين " هنا غير المفهوم الذي يعرفه الذين تعوَّدوا على أن الماء يصعد من تحت ! لقد كان الماء هنا في خزانات على السطح !!

وقد أخذنا في تصفية الحسابات التي كانت تنتظرنا، آلاف الريالات السعودية ترتبت في ذمتنا بالمدينة وحدها، كان على كل واحد أن يؤدي ٣٦٧ و ٤٦٤ بين عرفات ومنى، والباقي في جدة، هذا إلى " هدايا السرور المناسبة " .

هذا وقد كانت فرصة هذا المقام في جدة مفيدة حيث تعرفنا على شخصيات أخرى من جهات مختلفة، وأذكر أنني اجتمعت يوم ١٥ من ذي الحجة بالأستاذ علي الخاقاني البغدادي الذي كنت تعرفت عليه في مؤتمر الأدباء بالكويت، وقد قدم إلي جماعةً من أهل العراق، كان فيهم الأستاذ عبدالكريم الدجيلي، والأستاذ السيد محمد الحبوبي، والأستاذ حسن أحمد الأسدي، وكل هؤلاء من خيرة الناس وذوي الأدب فيهم، فإن لهم بأربعتهم أشعاراً مطربة وآثاراً مطرفة، كان حديثاً شهياً وممتعاً مع الإخوة العراقيين، تبادلنا فيه بعض المساجلات، وقد تحدث إلي بإسهاب الأخ علي الخاقاني بما عهد فيه عن المخطوطات، وهو جد خبير بها في العراق، ديوان أبي تمام بخط يده، والمقامات الأربع لجالينوس بخط يده، معجم المخطوطات، ولم يقطع حديثنا إلا السيد الفاضل شال شيلان الإيراني الأصل، لقد قُدم لي هذا السيد في إطناب وكان يردد طلب " العفو " من إرهاقه بتلك النعوت !.

وعلى أثر ما " خلصنا " من هذه المجالس " قعدنا " الجلسة النهائية لتصفية الحسابات الباقية. إن الريال السعودي يصرف هنا في جدة بغير السعر الذي يصرف به عند مسجد قباء مثلاً، فهو هنا يساوي ٢٢ قرشاً لكنه هناك لا يتجاوز ١٧ أو ١٨ . أضف إلى هذا أن الأسعار هنا ملتهبة حامية، ولنتصور تكاليف الغرفة في الفندق، من مائتين إلى ثلاثمائة ريال سعودي، طبعاً مع الفطور الصغير... لكن ما هو الفطور الصغير ؟ إنه لا يتجاوز قليلاً من المربى والزبد والحليب مع حبوب زيتون ظلت محتفظة بعددها ـ وهو ستة ـ من أول يوم إلى آخر يوم..!

إشهار القصاص

وبعد موسم الحج تأتي مرحلة القصاص ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [سورة البقرة آية رقم ١٧٩]، إن كل أولئك الذين ألقي عليهم القبض متلبسين بسرقة أو شق جيب يقدمون للقصاص الشرعي، وقد كانت عملية القطع تباشر دون بنج أو تخدير، أما اليوم فتتم بعد تبنيجٍ موضعي، وبعد أن تفك الكف عن العضد، تقطع بالموسى وتضمد بالقار ! والرؤوس تقطع بالسيف الصارم، وكما قلنا بعض " الطماعين " يتوقون إلى الحصول على بعض المال، لكن كثيراً منهم يؤدون الثمن هنا غالياً، وقد حكيت لنا عدة أساطير عن تلك المغامرات، وقد سمعت عن أعضاء مقطوعة معلقة.

وبينما نحن في تحضير الإياب إلى المغرب سمعنا من عدة وفود عن "الإصابات" التي حلت بأفرادهم نتيجة ضربات الشمس.

تلميذ لي من السنغال

وفيمن تعرفنا عليه ووصلنا به الرحم أحد تلامذتي القدامى في جامعة القرويين، لم يكن غير الأستاذ الوسيم الحاج مالك سي الذي كان عضواً في البعثة السنغالية إلى الحج، لقد تحدثنا طويلاً، إنه كان في وقت الاستعمار يسرق الخطى لجامعة فاس ليأخذ منها ما يفيده، تحدث لنا كذلك عن وفياتهم، لقد مات فيهم رئيس البعثة الطبية نفسه وهو السيد عثمان.

ويحضر الشيخ عبدالقدوس صاحب مجلة المنهل سابق الذكر، ويعود الحديث إلى دور الكتاب والمجلة والصحيفة في تنوير الرأي العام، والفرق بين دور الكتاب وبين المجلة التي - في نظر الشيخ عبدالقدوس - تقف وسطاً بين الصحيفة والكتاب، تؤدي ما تؤديه الصحيفة ولا يؤديه الكتاب.

ولقد كان الشيخ مهتماً بموضوع مغربي قضى معي جل وقته في الاستفسار عنه، وكلما سمع كلاماً شعرت أنه بحاجة إلى المزيد، كان يسأل بصفة عامة عن المساحة المحررة من بلادنا آنذاك والتي شملتها حركة النضال التي تزعمها جلالة الملك محمد الخامس، وكان مهتماً بصفةٍ خاصة بسبتة ومليلية، ويتساءل متى يتم استرجاعهما ؟ ولقد ذكر أسماء لامعة من الرجال الذين أسهموا في صنع تاريخنا، من أمثال موسى بن نصير وطارق بن زياد، ولم يخف رجاءه بل إلحاحه في أن أزوده بانتظام بمعلومات أكثر عما

يتصل بالأراضي المغربية التي ما تزال تنتظر العودة إلى أهلها، وكان في أثناء هذا يستحث على مواصلة الكفاح والنضال.

نقطة أخرى كان الشيخ عبدالقدوس حريصاً على متابعتها ومناقشتها، تلك قضية الهجرات التي تميزت بها المجموعة الإسلامية، وبخاصةٍ منها الهجرات التي تمت من مختلف جهات العالم الإسلامي إلى الجزيرة العربية، إنه مقتنع بأن طائفةً مهمة من المواطنين في المملكة العربية السعودية يرجع أصلها إلى جذورٍ مغربية كما يقول، فهل تجرى دراسة حول هذا الموضوع ؟

استجواب لرئيس الوفد

وكانت خاتمة اللقاء أن قدم إلينا الشيخ غازي شاباً خفي علي اسمه، قال : إنه صحفي يريد أن يتوجه ببعض الأسئلة عن جريدة (البلاد) إلى السيد مبارك البكاي، وهكذا فسحنا المجال لجريدة البلاد التي توجهت بالأسئلة التسعة الآتية للرئيس البكاي الذي استرجع عافيته وطلب إلي مشكوراً مساعدته.

إن جريدة (البلاد) ترحب بسيادتكم وتنتهز هذه الفرصة، فرصة لقائها بأول زعيم سياسي في المملكة المغربية، وقع اتفاقية الاستقلال.

س ـ هل تزورون هذه البلاد لأول مرة لأداء فريضة الحج أم سبق أن زرتموها قبلاً ؟

ج ـ حقاً هذه أول مرة تتاح لي فيها الفرصة لزيارة هذه البقاع المقدسة والشقيقة في الوقت ذاته، وذلك بفضل حضرة صاحب الجلالة الملك محمد الخامس ـ نصره الله وأيده ـ الذي تفضل بالأمر بتعييني رئيساً للوفد الرسمي المغربي لأداء فريضة الحج.

س ـ ما هو شعور سيادتكم وانطباعاتكم عن هذه البلاد التي تزورونها لأول مرة ؟

ج ـ كان شعوري شعور المسلم الذي ورد لمهبط الوحي، حقاً لقد أعجبت بهذه المنشآت الفخمة وهذه الحدائق الغناء التي تدل على مدى ما يقوم به هؤلاء الأمراء الميامين الذين عهد إليهم بأمر هذه البلاد. ثم إنني ـ باسم أعضاء الوفد ـ متأثر كثير التأثر من هذه الحفاوة التي استقبلنا بها رجال الحكم هنا، تلك الحفاوة التي كانت في الحقيقة إكراماً لعاهلنا المفدى، وإذا كان لي من أمنيةٍ فهي أن تدعم الصلات بين الدول العربية، وذلك من أجل رفاهيتهم وسعادتهم.

س ـ كيف كان شعوركم يوم وقعتم اتفاقية الاستقلال عن الحكم الفرنسي ؟

ج ـ كانت حقيقة لحظة تاريخية في حياة المغرب، وإن شعوري كان عندها كشعور المغاربة الأبطال المخلصين الذين ضحوا بأرواحهم وبأنفسهم في سبيل تحقيق هذا الاستقلال، وما

دمت أذكر المغاربة الأبطال المخلصين فلأذكر على رأسهم بطل الاستقلال جلالة الملك محمد الخامس الذي كان له الفضل كل الفضل في نيل المغرب لهذه المأثرة.

س ـ كم هي الأحزاب السياسية الموجودة في المغرب، وما هو أبرزها في رأي سيادتكم؟

ج ـ كان سؤالكم موجهاً إلى شخص مستقل عن كل حزب من هذه الأحزاب، ولكنه في الوقت ذاته يضمر لها جميعاً تقديره ما دامت تسعى لصالح البلاد، وإن الانتخابات هي وحدها التي ستجيب على استطلاعكم في هذا الصدد !

س ـ الانتخابات القادمة في المغرب هل ستكون في خريف هذا العام ١٩٥٩ ؟ وما هو الحزب الذي تتنبؤون بفوزه في الانتخابات ؟

ج ـ حقيقة الانتخابات قرر مبدئياً أن تجرى في هذه السنة، وحول تنبئي عن الحزب الناجح أكرر أن الانتخابات هي الفرصة التي ستميط اللثام عن الحقيقة.

س ـ لماذا لم تؤلفوا حزباً سياسياً ؟ ولماذا اخترتم الاستقلال عن الأحزاب السياسية ؟.

ج ـ خلافاً لما قلتم فليس لي لون حزبي، وإنما على العكس من ذلك أسعى دائماً لأن أكون أداة وصلٍ بين مختلف الاتجاهات السياسية ؛ لأنني أعتقد أن في هذا الموقف مصلحة البلاد.

س ـ هل تتوقعون اتحاداً فيديرالياً بين أقطار شمال إفريقيا : المغرب، تونس الجزائر، أي بعد استقلال الجزائر ؟

ج ـ هذا أملي كما هو أمل جميع الأفارقة، بل إن يقيني أن المغرب العربي سيرجع إلى ما كان عليه تاريخه الماضي في الوحدة.

س ـ وما رأيكم في القضية الجزائرية أقصد الوسائل الحربية أو المفاوضات الدبلوماسية التي تستطيع معها الجزائر الحصول على استقلالها كاملاً ؟

ج ـ نحن نعتقد أن يوم استقلال الجزائر آتٍ لا محالة، ولكننا نأمل أن يتم ذلك عن طريق المفاوضات حقناً للدماء، وتخفيفاً من ضحايا المجزرة.

س ـ ما هي سياسة ديجول بالضبط نحو الجزائر، وكان المفروض أن يفتتح جمهوريته بإعطاء الجزائر استقلالها وسحب الجيش الفرنسي ؟

ج ـ أعتقد أن صلة صاحب الجلالة الملك محمد الخامس بالجنرال ديجول من جهة، ومجهود الدول الحرة الصديقة من جهةٍ سيساعد حتماً على الوصول إلى حل لقضية الجزائر على النهج الذي ترضاه جبهة التحرير الجزائرية.

* * *

وعلى ذكر "الاستجوابات الصحفية" أذكر أن الإذاعة السعودية وجهت إلينا الأستاذ جمال عباس (من أصل لبناني)، وزهير الجاعوني (من الأردن)، ومحمد الغامدي من الطائف، وكانت مناسبة لإسماع صوتنا عبر الأثير.

وداع جلالة الملك سعود

نعم، وبعد المأدبة الطويلة العريضة قصدنا القصر الملكي للتوديع، لقد قطعنا بالسيارة ردحاً من الزمان ونحن في طريقنا داخل حديقة القصر، كانت الأبواب في منتهى الفخامة، كتب على وسطها ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [سورة الشرح آية ١] كما كتب على جهة الباب اليسرى : ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [سورة آل عمران، آية ١٦٠] وعلى اليُمنى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [سورة الفتح آية ١]، الثريات الفخمة الرفيعة تغريك برفع بصرك، الزرابي المبثوثة هنا وهناك كأنها صنعت على مقياس القاعات، وكلما تقدمت بك خطوة إلى الأمام شعرت باعتدالٍ في الجو ورحمةٍ في المناخ، وقد أسلمنا مكتب إلى مكتب وقاعة إلى قاعة حتى وصلنا ردهة الملك، كانت كبيرة فسيحة بحيث لمحنا الملك سعود عن بعد وهو يحتل وسط حاشيته، ذات اليمين وذات اليسار جلس عشرات الجند بلباسهم العربي الجميل الرائع خمسة صفوف، لقد قال لنا جلالة الملك سعود :

"أرجو إبلاغ سلامي لجلالة الأخ محمد الخامس، أخبروه أننا عبَّدنا الطريق إلى "ينبع" حتى يتمكن عند تشريفه لنا من زيارة قبْر جده هناك، وقد جلبنا كذلك الماء إليها وأصبح المكان على ما

يرام[١١]. تناولنا قهوة عربية مرة يطيبها الهيل وهو ما يسمى (قاع قلة) عندنا بالمغرب، أحاديث ودية عن مناخ المغرب الذي قال عنه جلالته : إنه شيء عظيم حباكم الله به، كانت بيده سبحة من فئة ثلاثة وثلاثين حبة، ولكنها غليظة ومن فوسفور عادي، لقد عددت في ردهة الملك ٩٢ خطوة.

وقد أتبعنا بالهدايا التقليدية : ساعة أوميكا عليها صورة الملك، ومشلح، وغطرة، وعقال مقصب.

وبقية هذا اليوم

وبعد هذه الزيارة قمنا بتجول قصير في الأسواق، إن الجنود كانوا في الأسواق يشعرون الناس بوقت الصلاة (بإمالة اللام !)، وانصرف التجار فعلاً تاركين دكاكينهم ما بين مغلقة، ومفتوحة. وبعد هذا زرنا مركز الإذاعة السعودية لنتعرف على أوجه النشاط فيها، إنها تعنى بكل اللغات، وهذا واجب أكيد تعتبره في أول ما تعنى به الأردو، والأندونيسية باعتبار أن أكثرية المسلمين تعرفوا على الدين بواسطة هذين اللسانين.

---

(١١) من المعلوم أن الحسن بن قاسم جد الدولة العلوية قدم إلى المغرب من ينبع في القرن السابع، وقد شاءت إرادة الله أن يزور الملك محمد الخامس السعودية عام ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م لكنه وقد تعذرت عليه زيارة ينبع بعث بنجله سمو الأمير مولاي عبدالله الذي ما زال المواطنون في ينبع يذكرون زيارته. وقد زرت هذه المدينة عبر الطائرة يوم ١٥ فبراير ٢٠٠٠م.
د. التازي : ينبع في المصادر المغربية (مخطوطة).

وعند وصولنا لبيت السفير اجتمعنا بأحد المنتسبين إلى مدينة حلب ممن "يتفرَّسون" في الناس ما يتفرسون بمجرد الرؤية !! لقد قال عن كل منا كلمة، ففينا من وسمه بالميل للصفاء، وفينا من وسمه بحب الشتم، وفينا من أعطاه وصف الحركة الدائمة. . . إلخ. كانت جلسةً ممتعة ولكنها أقلقت بعض الذين طلعت "حظوظهم" على غيرِ ما يتوقعون !!

العودة إلى المغرب

وعند الساعة السابعة صباحاً (بتوقيت المغرب) غادرنا الفندق بعد أداء الواجبات والمستحبات والمندوبات في انتظار أن تتم عمليات الشحن في الطائرة، بقي بعضنا ببيت السفير بينما رُحت بصحبة بعض الرفاق إلى المطار فماذا في المطار ؟ لقد كان عبارة عن (محشر)، مئات البشر هنا وهناك، بعضهم إلى جانب بعض ينتظرون دورهم على الطائرة، ظن بعضهم ـ وقد رآني أكتب على مذكرتي ـ أنني أقوم بعملية تفتيش أو بحث عن شكاوي الناس، فتهالكوا علينا بتقديم مشاعرهم، في هذا الضجيج من الحجيج تبينا بعض الضعاف من سوريا قالوا : " إن لهم هنا أربعة أيام كاملة ينتظرون حظوظهم في الطائرة يعيشون على البصل والملح والرغيف لا فراش ولا غطاء، وإن مجرد إصاخة السمع لبعضهم يشجع الآخرين على النداء والبكاء، كنا نتساءل هل كان من حق هؤلاء أن يرحلوا وفيهم نساء وأطفال ؟.

لقد وردنا للمطار من أجل تصفية بعض الإجراءات التي تتعلق بعودتنا، إن كل واحد من الوفد " وسق[١٢] " ما شاء له أن يسق! ستون كيلو للواحد بالإضافة إلى القدر القانوني بل في الناس من كان يفوق هذا المقدار، وبعد أن صرفنا ما تبقى لنا من مال مستعينين في ذلك التحويل بأصغر حاسوبي رأيتُه في حياتي كان يعتمد عليه بجدة الموظفون ورجال الأعمال على صغر سنه. !! بعد ذلك رجعنا إلى بيت السيد السفير حيث تناولنا معه غداءه ـ أكرمه الله ـ مع بعض الزائرين، وبالمناسبة أذكر أن بيت هذا السفير كان نادياً لكل الزوار، وقد كان هذا الغداء مناسبة للاجتماع بالشاعرين الفلسطينيين السيدين الحاج محمد مصطفى سكران (مقامه الأردن) والحاج فرحان سلام (مقامه دمشق)، لقد استمعنا إلى قصيدةٍ كان اقترحها على أحدهما جلالة الملك سعود حول فلسطين، كما استمعنا إلى مناظرةٍ منهما بين ويزمان وبين المفتي. هما خصيصان في إنشاد الزجل، وقد سمعت من الحاج فرحان سلام نونيته المعروفة :

أقول للجنةِ التقسيم ماذا؟
خبأتِ لنا وماذا تحكمينا ؟!

لياقة افتقدناها

وما أنسى ـ وهذا ما رأيت أن من واجبي أن أخطّه بقلمي ـ أقول ما أنسى أنني كنت بين الفينة والأخرى أشعر بأن الواجب كان

(١٢) وسق : حَمَل.

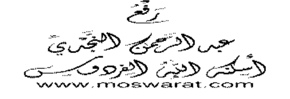
يفرض علي أن أحضر معي للسيد السفير صندوقين أو ثلاثة من برتقال المغرب لا سيما والجو ـ على ما نعرف ـ صيف، وهذا شيء مفقود هنا، إنه شعور أتمنى ألا يخذلني في مرةٍ قابلة !.

ولماذا لا تقوم بيننا اتفاقيات ؟

وكان فيما ركَّزت عليه في مذكراتي هو التساؤل حول إمكانية عقد اتفاقيات تجارية بين المغرب والسعودية، إن لدينا من الفواكه والخيرات في هذه الشهور ما يفضل عن حاجياتنا بل ما يتعرض للتلف والخراب، فلماذا لا نزود به هذه البقاع؟ لا سيما والبواخر في طريقها، لقد اعتقدت أن ذلك لا يكلف المغرب شيئاً بل إنه سيفيده.

وعندما كنا نهم بوداع السيد السفير غازي والدكتور العراقي والأخوين عبدالحي وعبدالنبي، سلمني الأستاذ غازي ظرفاً قال : إنه بُعث إلي من لدن الشيخ عبدالقدوس، ما كنت أجد الوقت لمعرفة ما بداخله، وقد عرفت فيما بعد عندما امتطيت متن الطائرة، أن الأمر لا يتعلق بما سماه الشيخ عبدالقدوس "الشيء البسيط"، ولكنه كان " شيئاً مركباً " يضبط الأوقات، وبعضه الآخر يساعد على كتابة هذه المذكرات !!.

لقد أجاب الشيخ عن تحيتي بأحسن منها ! كنت أهديته محفظة جلدية من صنع فاس، فساعدني زميلي هذا على " هدايا السرور " التي كانت تنتظرني، كنت فعلاً أفكر في بنيتي الجديدة (آس) :



إن يـــكـــن عـــهـــدك ورداً
إن عـــهـــدي لـــك آس !!

فإلى لقاءات بإذن الله

وفي الساعة الواحدة بتوقيت المغرب بينما كان أذان العصر يدوي في جدة كنا في المطار نشهد جوف الطائرة، وهو يثخن بالأغراض التي صحبها الحجاج معهم، لقد كان على الطائرة ألا تحمل كل هذا العفش، ومع ذلك فقد رضخت؛ لأن أحداً لم يسمح بأن يركب، ويترك متاعه للطائرة القابلة !! على أن في الحجاج من أرغم على ترك زمزمياته الكبيرة. وطال انتظار الطائرة ففسد الطعام المعد لعشائنا فيها !، وصعدنا متن الطائرة في أول من دخل لاختيار الأماكن المناسبة.

وفي الساعة الثانية بتوقيت المغرب، أخذت الطائرة في التحرك، المضيفان يبذلان الجهد لإطفاء غلة الحجاج بالمياه الغازية الباردة، وكان آخر ما رأيناه من هذه الأراضي المطار العسكري، وقد حاولت أن أستسلم للمنام بعد هذه " الهدَّة " الميمونة الظافرة وبعد توعك يوم عاشر يونية ١٩٥٩م بالمدينة المنورة أخذنا الطريق المستقيم تواً إلى المغرب عبر أجواء بنغازي، لقد وجدنا هنا بعض الصحف المغربية، النضال، والمغرب العربي، قرأنا في الأول نونية للأخ الشاعر عبداللطيف خالص في رثاء شيخنا سيدي المدني ابن الحسني، وكنا قد سمعنا عن منع عرض فيلم جميلة بوحيرد بالمغرب، ونحن في جدة، لكننا

رأينا في (العَلم) إعلاناً عن الفيلم في سينما (الأطلس)، وقرأنا كذلك مجلة الإذاعة الوطنية، ثم تصفحنا مجلة باري ماتش، ثم جريدة فرانس سوار عدد ٢٣ يونية ١٩٥٩م، لقد أخبرت عن موجة الحرارة التي اكتسحت فرنسا ٢٣ درجة ! وخلفت أحد عشر ميتاً !! ترى لو عرف هؤلاء أرقام الميزان في جدة ؟.

محرك يقف !

وبينما نحن في غمرة هذه المسليات سمعنا عن صوت المضيف يخبر أنه في الساعة كذا والدقيقة كذا ستنزل الطائرة في بنغازي، إلى آخر ما أعطى من معلومات، لكن لم يمر قليل من الوقت حتى أضاف الربابنة لقد عطب جهاز في الطائرة أدى إلى تعطيل أحد المحركات. !! وخاف بعض الناس، وتساءلنا هل ما يزال الوقت المحدد للوصول محترماً؟ فأجابونا : إن هناك تغييراً بسيطاً، وهنا ساد صمت هائل، وغاب عنا المضيفون تجنباً لكثرة السؤال، ونصحنا أحدهم ألا نشرئب لرؤية هذا المحرك، وقد سأل السيد البكاي : هل سنبقى في بنغازي طويلاً لتصليح العطب ؟ فأجابوه بأن الإصلاح لا يتطلب أكثر من ساعة ! ثم أخبرنا بأن نزولنا لا بد أن يتأخر أيضاً ساعتين !!، وقد طلبت إلى الربان أن يبرق إلى سفارتنا ببنغازي بل وإلى وزارة الخارجية فيها يخبرها بوقت الوصول المحدد، لقد أمسينا نؤمن بأن العودة ايضاً من (البيت العتيق) فيه من شق الأنفس ﴿لَمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ [سورة النحل آية ٧] كما ورد في الكتاب.

لم يشعر الناس بقابلية للعصْرونية بعد هذا الحادث، ولا للنوم، وإنما لتلاوة القرآن وللتوسل ! هل سبق أن تم مثل هذا ؟ وأجابنا مضيف: نعم، وكان الدواء هو في الرضا بالوصول متأخرين !!

وقد جعلني هذا الفراغ أشعر بضرورة تسجيل ما أودعته من عفش بالطائرة، وكان في ذلك خير، فلقد ضاعت منا بعض الأغراض، ولم تضبطها إلا هذه المذكرات، نعم كانت عندي حقيبة خضراء كبيرة، و(صاكوش) أزرق دمشقي، وخنشة تحتوي على سجادات، و (٢٥) لتراً من زمزم، أما ما كان معي فهو حقيبة صغيرة فيه هدايا من ذهب وأحجار كريمة، ثم الشكارة التي تضم مصحفي ومذكراتي وزادي من الدولارات الباقية، هذا إلى رسائل كنت صحبتها معي من المغرب لبعض السلاويين بالقاهرة إذْ كنت أظن أن رجوعي قد يكون عليها.

إن صلتنا بالربابين أضحت وطيدة، نسأل فيضطرون للجواب، إن فيهم (سريني) القائد (وبيكافو) المساعد و (بنول) الراديو و (بلاك فان) ميكانيسيان، و (سورا) كذلك ميكانيكيان، والأخوان ابن سعيد ومحمد العلوي مضيفان، إننا في حاجة لأي شيء نقتل فيه وقتنا، وقد أعطوني هنا كذلك (مجلة باريز) العربية فاشتغلت بها، ومما قرأت فيها حديث عن العلم والعلماء يؤكد أن العمل الفكري أصبح مشكلة العصر الحاضر، وأن (٥٤) في المائة من الأساتذة مصابون بمرض العصاب (NEVROSE)، على الأساتذة أن يجتنبوا الاصطياف في الأماكن المرتفعة فارتفاع (١٧٠٠) متر عن

سطح البحر متعب للأعصاب، على المثقف ألا ينزوي بل عليه أن يشارك في الرحلات، ويعيش في المحيط الذي يدور به، على المثقف أن يقوم بعمل يدوي وبدني.

وبعد ساعاتٍ طويلة سمعنا : " نحن نقترب أيها السادة من مطار بنغازي فشدوا أحزمتكم، ولا تدخنوا ما دامت الأضواء مشتعلة" وفي الثامنة و ٤٠ دقيقة وطئت الطائرة الأرض فشكرنا الله على نجاتنا !.

في بنغازي

وجدنا هنا رجال وزارة الخارجية الليبية مشكورين، ينتظرون في سرب من السيارات الرفيعة، فرق محسوس بين مناخ ومناخ، تنسمنا البحر المتوسط هنا، إن علينا أن نقطع (١٨) كيلو متراً بين المطار وأوتيل (بيربينتش)، على العكس من مطار جدة الذي يوجد تقريباً في صميم المدينة، وصعدنا إلى الغرفة وكان معي الأخ الحاج المكي بادو، كل فراش نصبت عليه (ناموسية) تحفظ النائمين من غزو الناموس.

وصلنا متأخرين للفندق، ولهذا فإن وقت العشاء راح ! الأستاذ محمد ابن موسى والضابط سالم الحصين الليبيان اللذان رافقانا من المطار أوعزا بإحضار بعض الخضروات والمجففات.

وقد أشرقت الشمس فرأينا من النافذة زرقة المياه، لكن كَسل المتوسط في مثل هذا الفصل معروف، فأمواجه تعبانة، أبرقت إلى

زوجتي الثريا أطمئن الأسرة بعد أن علمت أن الطائرة التي كانت تقلنا قد أقلعت فارغةً للإصلاح بالجزائر ونحن في انتظار أخرى !.

لقد تلقى الرئيس البكاي رسالة من المسيو FAVROUS يتأسف للعطب الذي طرأ على الطائرة، ويؤمل أن تصل الطائرة الجديدة صباح الجمعة، وفي هذه الأثناء خرجنا إلى السوق، رأيت إخواننا هناك يرتدون عوض " سلهامنا " بالمغرب " الجردة " وهي من نوعه وشكله، وقد سموها (الحولي)، ولقد التحق بالفندق بقية الحجاج الذين ظلوا في المطار.

وقد علمنا أن السيد عبدالمجيد كعبار رئيس الحكومة الليبية سيتفضل بزيارتنا مساء اليوم، وقد كانت لنا جلسة مسائية مع أستاذي القديم عبدالهادي الشرايبي القائم بالأعمال على طيراس الفندق أخذنا فيها المعلومات مرة أخرى عن ليبيا، سكانها ثرواتها ميزانيتها، وكانت مناسبةً للوقوف على العدد الأخير من النشرة التي تصدرها السفارة المغربية هنا.

فإلى الطائرة...

ومساء الجمعة ٢٦ الموافق ٢٠ من ذي الحجة كان موعدَ رجوعنا، إن الطائرة التي ستحملنا من نوع "D.C.4"، وبعد أن كنا أخذنا استعدادنا للرحيل علمنا أن الطائرة ستتأخر عن الوقت، وهكذا لم يأخذ الموكب طريقه من الفندق إلا في الساعة الثانية ليلاً بتوقيت جرينيتش أي صباح يوم السبت ٢٨ـ ٦ وقد ودَّعنا السيد فوزي الغرياني عن الخارجية.

نعم في الرابعة وعشرين دقيقة من صباح اليوم المذكور أقلعت الطائرة في اتجاه المغرب، لقد طلبنا من المضيف أن يخبر المغرب بوقت وصولنا من جديد حتى يُطمئن المنتظرين، وإن الشيء الوحيد الذي ظل مشغلة لنا هو ما تحسسناه من أمر تأخر بعض الأمتعة إلى طائرةٍ قابلة، إن بعض الحجاج الشطار سبقونا إلى المطار، وأشرفوا على نقل أمتعتهم إلى الطائرة، بينما نحن ـ الوفد ـ اعتمدنا على غيرنا في ذلك متجاهلين الحكمة الخالدة " ما حك جلدك مثل ظفرك " !.

على سماء المغرب

لقد كان نصيبنا من تونس التحليق عليها فقط حوالي الثامنة صباحاً، تراءت تحتنا مدن ساحلية آهلة، وأراض فلاحية زاهية، وتلال مخضرة، ثم على سماء الجزائر ـ أنقذها الله ـ نحاذي الشاطئ أحياناً، ونشرف أحياناً على الأرض ذاتها، جداول وأنهار تمتد ملتوية تصب في المتوسط على مقربة من الجزائر العاصمة، قرى صغيرة متناثرة هنا وهناك تسامت الساحل، هل سيترك الاستعمار هذه الأراضي ؟! كنت أتساءل مع نفسي ذاكراً كلمة لرفيق فرنسي كان زوجاً لمعلمةٍ تعمل مع زوجتي في مدرسة بفاس، كانتا صديقتين، هذا السيد هو المسيو "أودار" كان يقول لي : "يمكن" Peut etre أن يستقل المغرب في المستقبل، أما الجزائر فمن المستحيل أن تستقل، اللهم إذا استقلت ستراسبورغ عن فرنسا !! وكنت معه دائماً على خلاف.

وحوالي العاشرة والنصف وضعت الموائد، تناولنا غذاء خفيفاً ثم في الثانية عشرة بالضبط اقتحمنا سماء المغرب الأقصى، كانت الطائرة لا تلبث بين الفينة والأخرى تنخفض بصورة فجة ! فكان ذلك مما يزعجني ويخيفني، اجتزنا تازة وفاس ومكناس، كيف سنجد الأبوين والأهل والأنجال ؟ كنت أردد " اللهم إني أعوذ بك من كآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل والولد " .

آه، لقد كثرت هذه القفزات، وكثرت هزات الطائرة في هذه المطبات الجوية، تصبب عرقي، واعتراني دوار لم أنسه ! وبالرغم من أن الطائرة رست في الواحدة وخمس عشرة دقيقة، فإني لم أستطع أن أنزل مع الأولين، ونزلت على حال ظن فيها منتظري أنني كنت طريح فراش! لكن زغاريد المستقبلين وتهافتاتهم أنعشتني عندما سمعت الأحباب يرددون اللقب الجديد الذي اكتسبته : الحاج عبدالهادي ! الحاج عبدالهادي !

لقد بقيت حقيبتي فعلاً في بنغازي ! لكن لقاء الأحباب طغى على التفكير فيما تركت، وممّا التحق بي من بعد.

وجدت المنزل يموج بالأصدقاء والأحباب والرفاق كان فيهم من عرفته منذ أيام الكُتاب.

كانت أياماً من أمتع الأيام زرنا في أثنائها صاحب الجلالة محمد الخامس الذي حملنا له رسالة خاصة من الملك سعود وهدايا أخرى من لدن العاهل السعودي، ولم ننس أن نخبره بأن الطريق قد عُبد إلى مدينة (ينبع) على ما أمرنا الملك سعود بإبلاغه

إليه، ولم أنس وقد أبلغه أحد أعضاء الوفد أن بعض المجاورين لم يأبهوا بالتهديدات بالسجن حتى يغادروا الحرم الشريف ورغم الإغراءات المادية التي قدمت لهم معلقاً هذا "الأحد" على أن أولئك المجاورين حمقى، لم أنس أن الملك محمد الخامس قال له : هل هم الحمقى أم الذي لم يدرك إحساساتهم إزاء ذلك المقام العظيم ؟!.

وأذكر أخيراً أنني لم أنس كريمة جلالة الملك الأميرة الصغيرة لالة أمينة التي نعتبرها رمزاً لبشرى الخلاص من حياة الأسر والنفي والاستعباد، ولذلك فقد رجوت العاهل أن يتقبل مني هديةً خاصة إليها كانت عبارة عن كنانة ذهبية تحتضن مصحفاً زورته تلك البقاع التي نعمت برؤيتها، فقبلها ودعا لي بالرضا.

مع الصحافة في مطار (سلا)

لقد غطت أجهزة الإعلام أخبار هذه الرحلة التي تميزت بأنها تمت في بداية أيام استرجاع المغرب لاستقلاله، وكان من الاستجوابات التي سجلتها جريدة " العهد الجديد " في عددها اليوم السبت ٢٧ يونيه ١٩٥٩م هذا الاستجواب الذي أختتم به هذا (التحليق إلى البيت العتيق) :

يقول مراسل الجريدة

وفي الساعة الواحدة والنصف تماماً بدأ الوفد ينزل من سلم الطائرة، وفي مقدمته رئيس الحكومة السابق السيد مبارك البكاي



على متن الطائرة إلى الديار المقدسة

رئيس الوفد، ولقد كان بادياً عليه إمارات التعب والإعياء، وقد اتصلنا بالسيد عبدالهادي التازي عضو الوفد ورئيس المكتب الثقافي بوزارة التهذيب الوطني، وهنأناه بسلامة الوصول، وطلبنا منه أن يتحدث إلى قراء (العهد الجديد) ولو باقتضابٍ عن هذه الرحلة، فتفضل بالجواب عن أسئلتنا :

س ـ ما الأثر الذي خلفته هذه الرحلة في نفوسكم ؟

ج ـ هي آثار طيبة وممتازة، ولقد شعرنا ببعض التعب نظراً لاختلاف المناخ، ولقد قامت البعثة الطبية المغربية بواجبها

أحسن قيام مما تستحق عليه الشكر والتنويه، وقد مر الحج في ظروفٍ حسنة وطيبة.

س ـ كان من المقرر وصولكم قبل يومين فما السبب في هذا التأخير؟

ج ـ بمجرد خروجنا من جدة وقع عطب في أحد محركات الطائرة، ولم نصل إلى بنغازي إلا بعد جهد جهيد، ولقد أبرقنا إلى الحكومة الليبية بعد هذا الحدث فأرسلت مندوباً من وزارة الخارجية، وأرسلت كذلك السيارات الكافية لحمل الحجاج إلى النزل، وذلك ريثما تأتي طائرة جديدة على الرغم من أنه لا يوجد عندنا سفير مغربي هناك حتى الآن.



السيرة الذاتية
للأستاذ الدكتور/عبدالهادي التازي

- ولد بمدينة فاس يوم الأربعاء (٨ شوال ١٣٣٩ هـ) الموافق (١٥ يونيه ١٩٢١م).

- أسهم منذ صغره في الحركة الوطنية فتعرض للنفي والاعتقال.

- تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بفاس، ونال شهادة العالمية من جامعة فاس (القرويين) بدرجة متفوق جدًا (١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م) وعين أستاذًا بها ابتداء من ١/ ٥/ ١٩٤٨م.

- نشر منذ صباه (رمضان ١٣٥٤ هـ نوفمبر ١٩٣٥م) عدة مقالات (تفوق ٧٠٠ عنوان)، وترجم عن الفرنسية والإنجليزية عددًا من الدراسات والمقالات.

- انتقل من فاس للرباط بعد استرجاع استقلال المغرب للإشراف على القسم الثقافي بوزارة التربية الوطنية (أكتوبر ١٩٥٧م).

- طمح إلى الانتساب لجامعة محمد الخامس (العصرية) فنال بها دبلوم الدراسات العليا بميزة حسن جدًا (٢٨ فبراير ١٩٦٣م).

- نال شهادة في الإنجليزية من معهد اللغات في بغداد (١٩٦٦م).

- نال دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة الاسكندرية بمرتبة الشرف الأولى سنة ١٩٧١م.

- مارس الأستاذية والمحاضرة في طائفة من المعاهد والمدارس العليا والكليات بمختلف الجهات، داخل المغرب وخارجه، حول الموضوعات ذات الصلة بتأليفه.

- عين مديرًا للمعهد الجامعي للبحث العلمي عام ١٩٧٤ إلى ١٩٩٤م.

- عين عضوًا في عدد من الجمعيات والمؤسسات والمنتديات الإقليمية والدولية، منها المجمع العلمي العراقي منذ عام ١٩٦٦م، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٧٦م، والمعهد العربي الأرجنتيني عام ١٩٧٨م، ومجمع اللغة العربية في الأردن ١٩٨٠م، ومجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٨٦م.

- شارك في عدد من المؤتمرات واللقاءات الدولية (ثقافية واجتماعية وسياسية) منها مؤتمر القمة.

- رأس المؤتمر العالمي للأسماء الجغرافية بنيويورك، وهو الرئيس المؤسس لنادي الدبلوماشيين المغاربة من عام ١٩٩٠م.

- عيّن سفيرًا للمملكة المغربية في ١٣/٥/١٩٦٣م لدى الجمهورية العراقية، ثم لدى ليبيا في (٤ يونيو ١٩٦٧م)، ثم لدى بغداد مرة ثانية في (٢٠ سبتمبر ١٩٦٨م) حيث عهد إليه

بالسفارة لدى الإمارات العربية المتحدة في (مارس ١٩٧١م)، ثم عين سفيرًا لدى الجمهورية الإيرانية الإسلامية في (٢٨ أبريل ١٩٧٩م)، ثم عين مكلفًا بمهمة بالديوان الملكي.

نال عدة أوسمة منها وسام العرش في المغرب ١٩٦٣م من درجة ضابط، والحمالة الكبرى للاستقلال (ليبيا ١٩٦٣م)، ووسام الرافدين (العراق ١٩٧٢م)، وقلادة الكفاءة الفكرية من الدرجة الممتازة في (المغرب ١٩٧٦م)، والميدالية الذهبية لأكاديمية المملكة المغربية في نوفمبر ١٩٨٢م.



كتب مطبوعة للمؤلف

١ ـ تفسير سورة النور (١٣٦٥هـ/١٩٤٦م) مطبعة فضالة ـ المحمدية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

٢ ـ آداب لامية العرب، المطبعة الوطنية ـ الرباط ١٩٥٣م.

٣ ـ أحد عشر قرنًا في جامعة القرويين (بالعربية والفرنسية والإنجليزية) مطبعة فضالة ـ ١٩٦٠م.

٤ ـ أعراس فاس، مطبعة فضالة، المحمدية ١٩٦١م.

٥ ـ تحقيق (تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين . . .) لابن صاحب الصلاة حول تاريخ الأندلس والمغرب على عهد الموحدين، طبعات، بيروت ١٩٦٤م، بغداذ ١٩٧٩م، بيروت ١٩٨٩م.

٦ ـ جولة في تاريخ المغرب الدبلوماسي، مطبعة فضالة ـ المحمدية ١٩٦٧م.

٧ ـ تاريخ العلاقات المغربية الامريكية (بالإنجليزية) مطبعة فضالة ـ المحمدية ١٩٦٧م.

٨ ـ لو أبصرت ثلاثة أيام، (ترجمة عن الإنجليزية) للكاتبة الامريكية كيلير هيسلين أدامز ١٩٧٠م ـ ١٩٩٠م، دار الرفاعي للنشر والطباعة، الرياض (السعودية).

٩ ـ جامع القرويين المسجد الجامعة بمدينة فاس (ثلاث مجلدات) طبعة أولى بيروت ١٩٧٢م ـ طبعة ثانية الرباط ٢٠٠٠م.

١٠ ـ ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحاقي، مطبعة فضالة ـ المحمدية ١٩٧٦م.

١١ ـ قصر البديع بمراكش من عجائب الدنيا، مطبعة فضالة ـ المحمدية ١٩٧٦م.

١٢ ـ في ظلال العقيدة، دار الثقافة، الدار البيضاء ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

١٣ ـ صقلية في مذكرات السفير ابن عثمان، مطبعة فضالة ـ المحمدية ١٩٧٧م.

١٤ ـ التعليم في الدول العربية (مطبعة اليونسكو) (باريس) في ثلاث لغات ١٩٧٧م.

١٥ ـ رسائل مخزنية (القسم الأول) مطبعة أكدال ـ الرباط ١٩٧٩م.

١٦ ـ العلاقات المغربية الإيرانية، مطبعة أكدال ـ الرباط ١٩٧٩م.

١٧ ـ القنص بالصقر بين المشرق والمغرب، المطبعة العصرية ـ الرباط ١٩٨٠م.

١٨ ـ الحماية الفرنسية بدؤها ـ نهايتها، مطبعة الرشاد الحديثة، الدار البيضاء ١٩٨٠م.

١٩ ـ أوقاف المغاربة في القدس، مطبعة فضالة ـ المحمدية ١٩٨١م.

٢٠ ـ تحقيق (النصوص الظاهرة في إجلاء اليهود الفاجرة) لابن أبي الرجال، نشر جامعة صنعاء ١٩٨٠م.

٢١ ـ العلاقات التاريخية بين المغرب وعُمان: مطبعة سلطنة عُمان، مسقط ١٩٨١م.

٢٢ ـ دفاعًا عن الوحدة الترابية للمملكة المغربية، صاحب السمو الملكي ولي العهد سيدي محمد في أول مهمة سياسية بأفريقيا، طبعة أولى، مطبعة أكدال ـ الرباط ١٩٨٢م، طبعة ثانية، دار نشر المعرفة، الرباط ١٩٩٩م.

٢٣ ـ الرموز السرية في المراسلات المغربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ١٩٨٣م.

٢٤ ـ تحقيق كتاب (الفريد في تقييد الشريد) لأبي القاسم الفجيجي، حول القنص بالصقر، مطبعة النجاح، البيضاء ١٩٨٣م.

٢٥ ـ إيران بين الأمس واليوم، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء ١٩٨٣م.

٢٦ ـ الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للمملكة المغربية (بالعربية والفرنسية والإنجليزية) مطبعة المعارف، الرباط ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٧ ـ المغراوي وفكرة التربوي، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض (السعودية) ١٩٨٦م.

٢٨ ـ التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، في اثني عشر مجلدًا، مطبعة فضالة، المحمدية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٩ ـ التاريخ الدبلوماسي للمغرب بالأشرطة المرسومة بالاشتراك مع بعض الأساتذة من فاس. رقم الإيداع القانوني ٦٣٥٩٠.

٣٠ ـ المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، نشر الفنك بالدار البيضاء ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م بمساهمة مؤسسة فريدريش إيبيرت.

٣١ ـ تحقيق (المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف)، لابن زيدان، مطبعة إيديال، الدار البيضاء ١٩٩٣م.

٣٢ ـ ابن ماجد والبرتغال، مطبعة رأس الخيمة الوطنية ١٩٩٦م.

٣٣ ـ تحقيق رحلة ابن بطوطة في خمس مجلدات، نشر أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٣٤ ـ القدس والخليل في الرحلات المغربية، نشر منظمة الإيسيسكو ـ الرباط ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٣٥ ـ طه حسين بالمغرب، نشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٦ ـ تحقيق كتاب (الطرثوث في خبر البرغوث)، للسيوطي نشر مجمع اللغة العربية دمشق ٢٠٠٠م.

٣٧ ـ الطب النبوي بين المشرق والمغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٨ ـ الوسيط في تاريخ العلاقات الدولية للمغرب في مجلدين نشر دار المعرفة، الرباط ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

إصدارات دارة الملك عبدالعزيز

١ ـ **فهارس من كتاب عنوان المجد**، السيد أحمد مرسي، ١٣٩٥ هـ.

٢ ـ **لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، تحقيق الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ. ١٣٩١ هـ.

٣ ـ **سلسلة قادة الجزيرة ـ قال الجد لأحفاده**، عبدالوهاب فتال. (د. ت)

٤ ـ **سعود الكبير ـ الإمام سعود بن عبدالعزيز**، عبدالوهاب فتال. (د. ت)

٥ ـ **عثمان بن عبدالرحمن المضايفي ـ عهد سعود الكبير**، عبدالوهاب فتال. (د. ت)

٦ ـ **الإمام القائد عبدالعزيز بن محمد بن سعود**، عبدالوهاب فتال. (د. ت)

٧ ـ **هذا هو كتاب سيرة الإمام الشيخ محمد عبدالوهاب**، أمين سعيد. ١٣٩٥ هـ.

٨ ـ **المرأة: كيف عاملها الإسلام**، الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ. (د. ت)

٩ ـ **الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز**، د .عبدالفتاح أبو علية. ١٣٩٦ هـ

١٠ ـ **العرب بين الإرهاص والمعجزة**، محمد حسين زيدان. ١٣٩٧ هـ

١١ ـ **بنو هلال بين الأسطورة والحقيقة**، محمد حسين زيدان. ١٣٩٧ هـ.

١٢ ـ **رحلات الأوروبيين إلى شبه الجزيرة العربية**، محمد حسين زيدان. ١٣٩٧ هـ.

١٣ ـ **الملك الشهيد فيصل بن عبدالعزيز ودعوة التضامن الإسلامي**، مناع القطان. ١٣٩٦ هـ.

١٤ ـ **انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، محمد كمال جمعة. ١٣٩٧ هـ.

١٥ ـ **أضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز وحروبه**، محمد إبراهيم رحمو. ١٣٩٨ هـ.

١٦ ـ **تاريخ الدولة السعودية**، أمين سعيد. ١٤٠١ هـ.

١٧ ـ **مكة في عصر ما قبل الإسلام**، السيد أحمد أبو الفضل عوض الله. ١٣٩١ هـ.

١٨ ـ **الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية**، إبراهيم جمعة. ١٣٩٩ هـ.

١٩ ـ **الكتيب الإعلامي الأول للدارة**، دارة الملك عبدالعزيز. ١٣٩٩ هـ.

٢٠ ـ **محمد بن عثيمين**، السيد أحمد أبو الفضل عوض الله. ١٣٩٩ هـ.

٢١ ـ **مثير الوجد في أنساب ملوك نجد**، راشد بن علي الحنبلي، تحقيق: عبدالواحد محمد راغب. ١٣٩٩ هـ.

٢٢ ـ **دليل الدوريات بالمكتبة**، دارة الملك عبدالعزيز. ١٤٠٢هـ.

٢٣ ـ **دليل الوثائق العربية**، دارة الملك عبدالعزيز. (د. ت)

٢٤ ـ **دليل الوثائق التركية**، دارة الملك عبدالعزيز. (د. ت)

٢٥ ـ **القائمة الببليوغرافية المختارة من مكتبة دارة الملك عبدالعزيز عن الجزيرة العربية**، دارة الملك عبدالعزيز. ١٤٠١ هـ.

٢٦ ـ **دليل دارة الملك عبدالعزيز**، دارة الملك عبدالعزيز. ١٤٠٩ هـ.

٢٧ ـ **أعمال الحلقة الخامسة للمراكز المهتمة بالخليج**، دارة الملك عبدالعزيز. ١٤٠١ هـ.

٢٨ ـ **دراسات في الجغرافيا الاقتصادية**، د. أحمد رمضان شقلية. ١٤٠٢ هـ.

٢٩ ـ **الكتاب السنوي الأول:**
الأمانة العامة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية، دارة الملك عبدالعزيز. ١٤٠١هـ.

٣٠ ـ **نفح العود في دولة الشريف حمود**، عبدالرحمن بن أحمد البهكلي، تحقيق: أحمد العقيلي. (د. ت)

٣١ ـ **حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز**، رابح لطفي جمعة. ١٤٠٢ هـ.

٣٢ ـ **الملك فيصل والقضية الفلسطينية**، السيد عليوة. ١٤٠٢هـ.

٣٣ ـ **علاقة ساحل عمان ببريطانيا**، عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم. ١٤٠٢ هـ.

٣٤ ـ **سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي**، د. عبدالعزيز إبراهيم. ١٤٠٢ هـ.

٣٥ ـ **عنوان المجد في تاريخ نجد (ج١، ج٢)**، عثمان بن بشر، تحقيق: عبدالرحمن عبداللطيف آل الشيخ. ١٤٠٢ هـ.

٣٦ ـ **المرافي الطبيعية على الساحل السعودي الغربي**، د. محمد ابن أحمد الرويثي. ١٤٠٣ هـ.

٣٧ ـ **السكان وتنمية الموانئ السعودية على البحر الأحمر**، د. محمد بن أحمد الرويثي. ١٤٠٢ هـ.

٣٨ ـ **كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب**، لمؤلف مجهول، تحقيق: أ. د. عبدالله العثيمين. ١٤٠٣هـ.

٣٩ ـ **النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري**، نوال حمزة الصيرفي (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ١). ١٤٠٣ هـ.

٤٠ ـ **بلاد الحجاز منذ عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد**، سليمان بن عبدالغني مالكي (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٢). ١٤٠٣ هـ.

٤١ ـ **العلاقات بين نجد والكويت ١٣١٩ ـ ١٣٤١ هـ**، خالد بن محمد السعدون (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٣). ١٤٠٣هـ.

٤٢ ـ **السمات الحضارية في شعر الأعشى دراسة لغوية وحضارية**، زينب عبدالعزيز العمري (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٤). ١٤٠٣ هـ.

٤٣ ـ **الملك عبدالعزيز في مرآة الشعر**، عبدالقدوس الأنصاري. ١٤٠٣ هـ.

٤٤ ـ **انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، محمد كمال جمعة. ١٤٠١ هـ. ط ١.

٤٥ ـ **الصهيونية والقضية الفلسطينية في الكونغرس الأمريكي**، عاصم الدسوقي. ١٤٠٣ هـ.

٤٦ ـ **مكة في عصر ما قبل الإسلام**، السيد أحمد أبو الفضل عوض الله. ١٤٠١ هـ.

٤٧ ـ **أضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز وحروبه**، محمد إبراهيم رحمو. ١٤٠٢ هـ.

٤٨ ـ **نفح العود في دولة الشريف حمود**، عبدالرحمن بن أحمد ابن أحمد البهكلي، تحقيق: أحمد العقيلي. ط ٢، ١٤٠٦هـ.

٤٩ ـ **فهرس مكتبة الملك عبدالعزيز**، دارة الملك عبدالعزيز. ١٤١٢ هـ.

٥٠ ـ **أسرار لقاء الملك عبدالعزيز بالرئيس الأمريكي روزفلت**. د. أحمد بن حسين العقبي. (د. ت)

٥١ ـ **مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الأراضي المقدسة**، سليمان بن عبدالغني مالكي (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٥). ١٤٠٨ هـ.

٥٢ ـ **الدعوة الإصلاحية في مواجهة التحديات**، عبدالله الحقيل. ١٤٠٤ هـ.

٥٣ ـ **وميض من سيرة الملك عبدالعزيز**، عبدالله الحقيل. ١٤٠٥ هـ.

٥٤ ـ **فيصل بن عبدالعزيز**، الشيخ مناع القطان. ١٣٩٦ هـ.

٥٥ ـ **رحلات الأوروبيين**، محمد حسين زيدان. ١٣٩٧ هـ.

٥٦ ـ **لوحة نسب آل سعود**، تصميم الدكتور إبراهيم جمعة. (د. ت)

٥٧ ـ **جداول تحويل السنين الهجرية إلى ما يقابلها من التواريخ الميلادية**، رتبها د. إبراهيم جمعة. (د. ت)

٥٨ ـ **الكشاف التحليلي لمجلة الدارة**، دارة الملك عبدالعزيز. ١٤١٤ هـ.

٥٩ ـ **الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية ١٣٥٨ هـ/١٩٣٩م**، تأليف: إيجيرو ناكانو، ترجمة: سارة تاكا هاشي. ١٤١٦هـ. ط ١.

٦٠ ـ **الرحلات الملكية**، يوسف ياسين. ١٤١٦ هـ.

٦١ ـ **الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى**، مي بنت عبدالعزيز العيسى (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٦). ١٤١٧هـ.

٦٢ ـ **مكتبة الملك عبدالعزيز الخاصة**، د. فهد بن عبدالله السماري. ١٤١٧ هـ.

٦٣ ـ **يوميات رحلة في الحجاز (١٣٤٨هـ)**، تأليف: غلام رسول مهر، ترجمة: د. سمير عبدالحميد إبراهيم. ١٤١٧ هـ.

٦٤ ـ **معجم التراث (السلاح)**، سعد بن عبدالله الجنيدل. ١٤١٧هـ.

٦٥ ـ **جدة خلال الفترة ١٢٨٦ ـ ١٣٢٦ هـ (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٧).**

دراسة تاريخية وحضارية في المصادر المعاصرة، صابرة بنت مؤمن إسماعيل. ١٤١٨ هـ.

٦٦ ـ **بحوث ندوة الوثائق التاريخية في المملكة العربية السعودية خلال الفترة ١٣ ـ ١٥ رجب ١٤١٧ ـ ١٤١٨ هـ**، دارة الملك عبدالعزيز. ١٤١٨ هـ.

٦٧ ـ **حوليات سوق حباشة**، أ. د. عبدالله محمد أبو داهش. ١٤١٨ هـ.

٦٨ ـ **مشروع مسح المصادر التاريخية**، دارة الملك عبدالعزيز. ١٤١٩ هـ.

٦٩ ـ **الملك عبدالعزيز في عيون شعراء صحيفة أم القرى (ج١، ج٢)**، إسماعيل حسين أبو زعنونة. ١٤١٩ هـ.

٧٠ ـ **رحلة الربيع**، فؤاد شاكر. ١٤١٩ هـ.

٧١ ـ **فجر الرياض**، عبدالواحد محمد راغب. ١٤١٩ هـ.

٧٢ ـ **معجم مدينة الرياض**، خالد بن أحمد السليمان. ١٤١٩هـ.

٧٣ ـ **الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية**، إيجيرو ناكانو، ترجمة: سارة تاكاهاشي. ط ٢، ١٤١٩ هـ.

٧٤ ـ **رحلة داخل الجزيرة العربية**، يوليوس أويتنج. ١٤١٩ هـ.

٧٥ ـ **الملك عبدالعزيز في مجلة الفتح**، د. فهد بن عبدالله السماري، ود. محمد بن عبدالرحمن الربيع. ١٤١٩ هـ.

٧٦ ـ **الملك ابن سعود والجزيرة العربية الناهضة**، د. فان در مولين. ١٤١٩ هـ.

٧٧ ـ **الرحلات الملكية**، يوسف ياسين. ط ٢، ١٤١٩ هـ.

٧٨ ـ **خصائص التراث العمراني في المملكة العربية السعودية**، د. محمد بن عبدالله النويصر. ١٤١٩ هـ.

٧٩ ـ **مختارات من الخطب الملكية (ج١، ج٢)**، دارة الملك عبدالعزيز. ١٤١٩ هـ.

٨٠ ـ **نساء شهيرات من نجد**، د. دلال بنت مخلد الحربي. ١٤١٩ هـ.

٨١ ـ **مثير الوجد في أنساب ملوك نجد**، راشد بن علي الحنبلي، تحقيق: عبدالواحد محمد راغب. ط ٢، ١٤١٩هـ.

٨٢ ـ **إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر**، تأليف: شعيب الدوسري، تحقيق: عبدالرحمن الرويشد، وأبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري. ١٤١٩ هـ.

٨٣ ـ **صفحات من تاريخ مكة المكرمة (ج١، ج٢)**، ك. سنوك هورخرونيه. ١٤١٩ هـ.

٨٤ ـ **لماذا أحببت ابن سعود؟**، محمد أمين التميمي. ١٤١٩ هـ.

٨٥ ـ **ديوان الملاحم العربية**، محمد شوقي الأيوبي. ١٤١٩ هـ.

٨٦ ـ **أصدقاء وذكريات**

انطباعات وذكريات أمريكية عن الحياة والعمل في المملكة العربية السعودية ١٩٣٨م ـ ١٩٩٨م، تحرير د. فهد ابن عبدالله السماري، جيل أ. روين. ج. ١٤١٩ هـ. ط ١.

٨٧ ـ **الطريق إلى الرياض**، دارة الملك عبدالعزيز. ١٤١٩ هـ.

٨٨ ـ **الرواد**، دارة الملك عبدالعزيز. ١٤١٩ هـ.

٨٩ ـ **الزيارة الملكية ـ الظهران ٢٨ صفر ـ ٥ ربيع الأول ١٣٦٦ هـ**، شركة أرامكو ـ لجنة المؤرخين. ١٤١٩ هـ.

٩٠ ـ **يوميات الرياض من مذكرات أحمد بن علي الكاظمي**، أحمد بن علي الكاظمي. ١٤١٩ هـ.

٩١ ـ **الملك عبدالعزيز في الصحافة العربية**، د. ناصر بن محمد الجهيمي. ١٤١٩ هـ.

٩٢ ـ **رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية**، فيليب ليسبنز. ١٤١٩ هـ.

٩٣ ـ **جوانب من سياسة الملك عبدالعزيز تجاه القضايا العربية**، د. خيرية قاسمية. ١٤١٩ هـ.

٩٤ ـ **معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري**، سعد ابن جنيدل. ١٤١٩ هـ.

٩٥ ـ **الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية**، دارة الملك عبدالعزيز. ١٤١٩ هـ. ط ١.

٩٦ ـ **المملكة العربية السعودية في مائة عام**، دارة الملك عبدالعزيز. ١٤١٩ هـ.

٩٧ ـ **عبدالعزيز (الكتاب المصور)**، دارة الملك عبدالعزيز. ١٤١٩ هـ.

٩٨ ـ **أصدقاء وذكريات**
انطباعات وذكريات أمريكية عن الحياة والعمل في المملكة العربية السعودية ١٩٣٨م ـ ١٩٩٨م، تحرير د. فهد بن عبدالله السماري، جيل أ. روين. ج. ط ٢، ١٤٢٠ هـ.

٩٩ ـ **الكشاف التحليلي لصحيفة أم القرى**، دارة الملك عبدالعزيز. ١٤٢٠ هـ.

١٠٠ ـ **الجزيرة العربية في الخرائط الأوروبية القديمة**، دارة الملك عبدالعزيز. ١٤٢١ هـ.

١٠١ ـ **بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية (٢٩ بحثًا)**، دارة الملك عبدالعزيز. ١٤٢١ هـ.

١٠٢ ـ **الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية**، دارة الملك عبدالعزيز. ١٤٢١ هـ. ط ٢.

١٠٣ ـ **سلسلة وثائق المملكة العربية السعودية وفلسطين**، دارة الملك عبدالعزيز. ١٤٢٢ هـ.

١٠٤ ـ **الملك عبدالعزيز في الإنتاج الفكري العربي المنشور في المئوية**، عبدالرحمن أحمد فراج. ١٤٢١ هـ.

١٠٥ ـ **مؤتمر فلسطين العربي البريطاني**، المؤتمر. ١٤٢٢ هـ.

١٠٦ ـ **رحلة إلى بلاد العرب**، أحمد مبروك. ١٤٢١ هـ.

١٠٧ ـ **محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي**، د. نادية بنت وليد الدوسري (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٨). ١٤٢٢ هـ.

١٠٨ ـ **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ**، الشيخ حمد الجاسر. ١٤٢٢ هـ.

١٠٩ ـ **الجيش السعودي في فلسطين**، صالح جمال الحريري. ١٤٢٢ هـ.

١١٠ ـ **تاريخ البلاد السعودية في دليل الخليج**، جمع وتعليق الدكتور محمد بن سليمان الخضيري. ١٤٢٢ هـ.

١١١ ـ **اللجان الشعبية بالمملكة لمساعدة مجاهدي فلسطين**، عبدالرحيم محمود جاموس. ١٤٢٢ هـ.

١١٢ ـ **الدولة العيونية في البحرين ٤٦٩ ـ ٦٣٦ هـ/١٠٧٦ ـ ١٢٣٨م**، د. عبدالرحمن بن مديرس المديرس (سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٩). ١٤٢٢ هـ.

١١٣ ـ **المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود/ دليل موجز بأبرز الإنجازات**، د. فهد بن عبدالله السماري، د. ناصر ابن محمد الجهيمي. ١٤٢٢ هـ.

١١٤ ـ Najd Before the Salafi Reform Movement, د. عويضة ابن متيريك الجهني. ١٤٢٢ هـ.

١١٥ ـ Al-Yamama in the Early Islamic Era. د. عبدالله بن إبراهيم العسكر. ١٤٢٢ هـ.

١١٦ ـ **التحليق إلى البيت العتيق**، د. عبدالهادي التازي. (سلسلة كتاب الدارة ـ١). ١٤٢٢ هـ.





هذا الكتاب

يسجل هذا الكتاب الرحلة التي قام بها وكتبها في مذكراته الدكتور عبد الهادي التازي لأداء فريضة الحج في عام ١٣٧٨ هـ/١٩٥٩م؛ إذ تبدأ بعرض فرصة الحج عليه وهو في بلده المغرب، وتنتهي بعودته إلى مطار بلده، وهي بين هذين تشتمل على وصفٍ دقيق وقوة ملاحظة وشمولية في العرض لمختلف شؤون الحياة في وقت الرحلة، وترصد عدداً من المواقف التي أصبحت تاريخاً، فهي بذلك تمثل صورة من صور أدب الرحلات.



